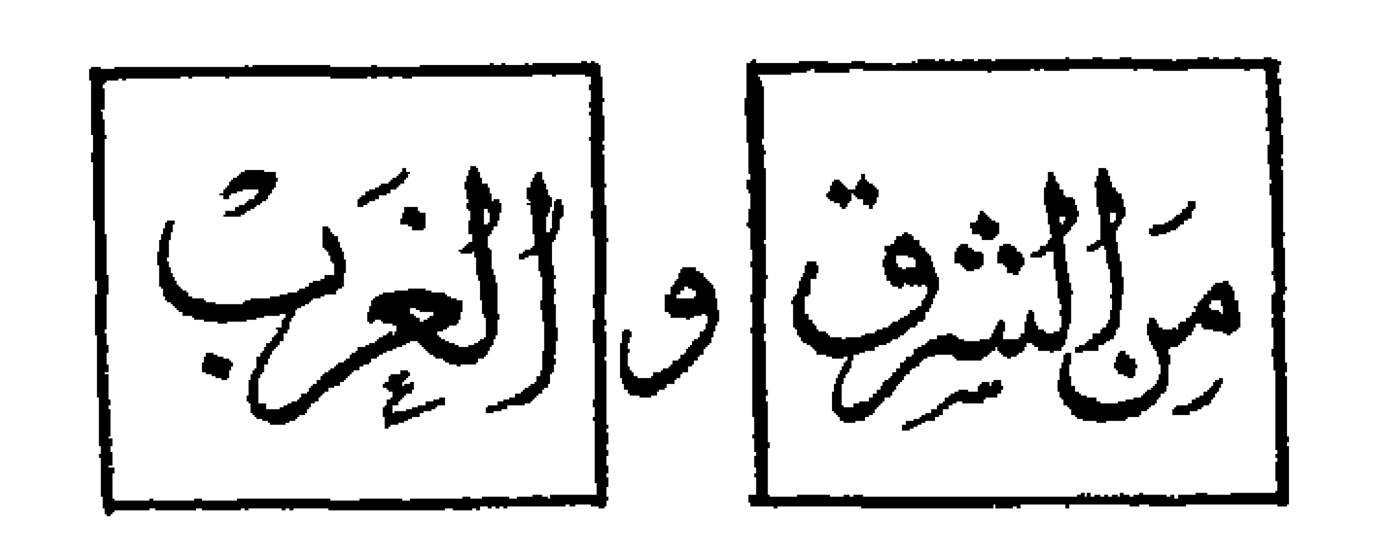
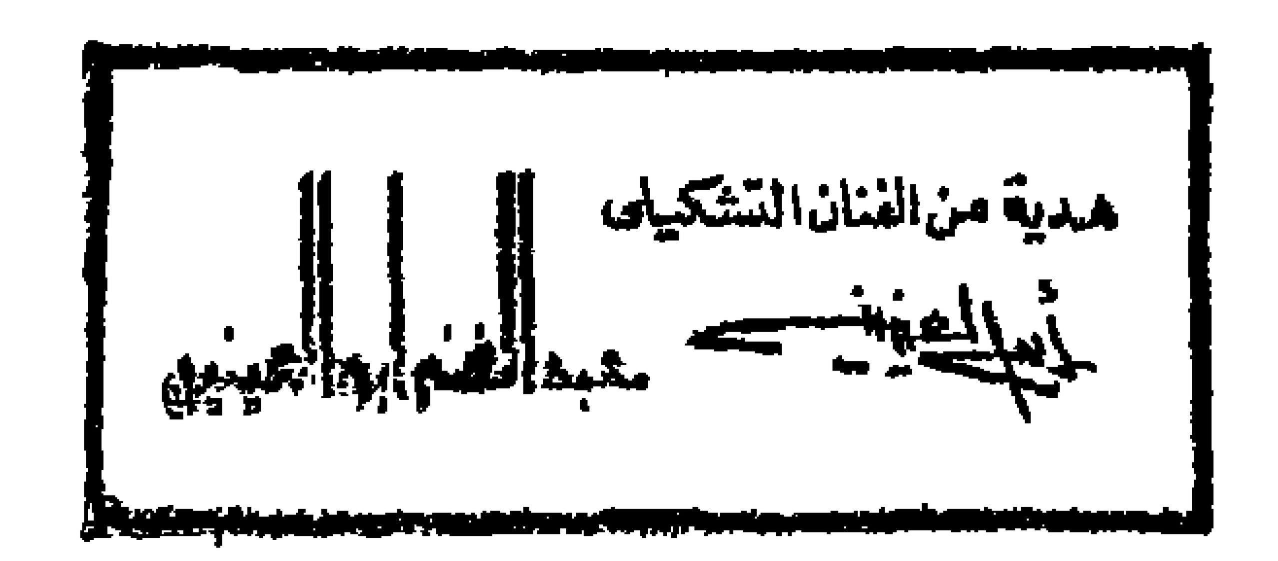

من الشرق والغرب
التذكار
وقصص أخرى
بقلم ارسكين كولدويل
ترجمة سيد جاد
مراجعة عبد الحميد الاسلامبولي


من الشرق و الغرب

إهـــــــداء ٢٠٠٧

الدكتور / عبد الغنى أبو العينين
جمهورية مصر العربية



التذكار
وقصص أخرى

بقلم : أرسكين كولدويل

ترجمة : سيد جاد

مراجعة : عبد الحميد الاسلامبولى

فهرس

أرسكين كولدويل .. الكاتب العالمي

عندما يقرأ الانسان « طريق التبغ » و « قطعة أرض الله الصغيرة » وعشرات الروايات والقصص القصيرة التي كتبها الكاتب الامريكي ارسكين كالدويل يجد نفسه أمام عالم فريد يمتاز بالصور الحادة الجريئة للحياة ٠٠ ويلمس قسوة المجتمع الأمريكي وخاصة في الجنوب الزراعي في محاولته الابقاء على نظام اجتماعي فاسد٠٠ويرى فقراء البيض والزنوج وهم يطحنون تحت رحى الظروف الاقتصادية الساحقة دون أن يفقدوا مع ذلك الأمل في مجتمع أفضل ٠٠ وقد يصدم القارىء بما في هذه القصص والروايات من تصوير حاد للحياة المنحطة في المدن الريفية الصغيرة ٠٠ ولكنه لا يملك الا الاقتناع بوجودها ٠٠ وبنبضها بالحياة ٠٠ لا يملك الا أن يعيش مع هذه الشخصيات آلامها وآمالها ـ ويلمس مأساتها حتى من خلال الروح الفكاهية التي يغلف بها كالدويل معظم قصصه ٠٠ ويخرج القارىء في النهاية من القصة وقد تركت في نفسه بفضل دلالتها وتكنيكها أثرا لا ينمحي ٠

وأن يطل المرء على مثل هذا العالم ٠٠ وأن يشهد هذه الشخصيات المليئة بالحياة ٠٠ وأن يعيش هذه الأحداث ذات المغزى ـ كل هذا أمر بالغ المتعة ٠٠ ولكن هناك أمرا لا يقل عنه متعة ٠٠ بل يزيد من متعتنا الفنية بهذا العالم ويعمق من رؤيتنا له ذلك هو معرفة ظروف الكاتب نفسه ٠٠ ومشاهدة عملية الخلق نفسها ٠٠ ورؤية ما وراء العمل الفني من معاناة « من أجل بعث مشاعر الحياة وروحها في كلمات على الورق»

وقد قام ارسكين كالدويل نفسه بكتابة هذا الكتاب بعنوان « سمها خبرة » عن تجربته الخاصة في الكتابة ٠٠ وعن

الظروف التى أثرت فى كتاباته ٠٠ عن المعاناة التى عاناها من أجل التعبير حتى استطاع فى النهاية أن يخلق هذا العالم الملىء بالصور الواقعية الجريئة ٠

ينتمى كالدويل الى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية مع وليم سارويان وشتاينبك وجيمس فاريل ، ويشترك معهم فى الرؤية الواعية لظروف الحياة التى عاشها الشعب الأمريكى وخاصة فى فترة الأزمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩ وما بعدها ٠

ولد ارسكين كالدويل فى ١٧ من ديسمبر عام ١٩٠٣ فى كاويتا بولاية جورجيا ٠٠ وكان والده قسيسا متواضع الحال ٠٠ وعاش وتربى بين فقراء البيض والزنوج ٠٠ وقد تمرس ارسكين بالحياة العملية منذ طفولته ٠٠ كان يبيع الصحف وهو تلميذ صغير فى المدارس الابتدائية ٠٠ وعندما بلغ سن الخامسة عشرة فى عام ١٩١٨ انتقل مع والديه الى جيفرسون بولاية جورجيا والتحق بالمدرسة العليا بها ، وفى أثناء دراسته بهذه المدرسة وجد أن بعض الطلبة الكبار يعملون نصف الوقت فى معصرة لزيت بذرة القطن ، فتقدم للعمل بهذه المعصرة ٠٠ اشتغل فى الوردية الليلية التى تبدأ من الحادية عشرة مساء حتى السابعة والنصف صباحا ٠٠ وكانت هناك نصف ساعة لتناول العشاء من الثانية والنصف الى الثالثة صباحا ٠٠ وقد تلقى كالدويل دروسه الأولى فى الحياة من هذه المعصرة ٠٠ كان يوجد بها عادة من عشرة الى اثنى عشر عاملا بينهم طالب أو طالبان من المدرسة العليا وثلاثة أو اربعة من الزنوج ٠٠ يقول كالدويل لم يكن يحدث شىء فى البلدة أو فى الضواحى المجاورة الا ويعرفه كل منا بتفاصيله داخل المعصرة ٠٠ كنا نتناقش فى أثناء الليل بحرية وبصراحة فى كل شىء ٠٠ المنازعات العائلية ، ميلاد الأطفال غير الشرعيين ، حوادث الموت الغامضة ، المشاجرات العنيفة ، أخبار الهجر ، والخيانات ، وفضائح العلاقات الغرامية ٠ وكان يشترك فى المناقشة البيض والزنوج على السواء ٠٠ كنا نعمل جنبا الى جنب ، ونتناول وجبة العشاء معا فى الصباح الباكر على جانب شريط السكة الحديدية عندما يكون الجو

صافيا أو فى حجرة الغلايات فى الليالى المطيرة ·· ومن هنا لم يكن ثمة مجال للتفرقة العنصريه فى هذه المعصرة ·· كان كل واحد منا سواء كان أبيض أو اسود يعبر عن رأيه وعما يحبه وما يكرهه فى أى موضوع كما يشاء ·

ومارس كالدويل كثيرا من الأعمال خلاف عمله فى هذه المعصرة ·· اشتغل جامعا للقطن وانتقل جرسونا وطباخا ·· وسائقا ·· وحارسا فى احدى حانات القمـــــار ·· وليس كالدويل فريدا فى هذه الناحية ، فالواقع أن معظم الـكتاب الأمريكيين قد تمرسوا بالحياة أيضـــــا وزاولوا شتى المهن العملية ·· وكانت لهذه الخبرات فى كتاباتهم أكبر الأثر ·

وهناك سمة أخرى فى كالدويل تتصل بتمرسه بالحياة وتعلمه منها مباشرة ·· تلك هى حبه الجارف للتنقل والترحال وعدم الاستقرار فى مكان واحد ·· وقد لازمته هذه الصفة طوال حياته ·· يقول كالدويل : كان القلق والرغبـــــة فى التجوال ، والحاجة التى لا تقاوم للذهاب الى أى مكان تحول دائما بينى وبين الشعور بالرضا زمنا طويلا فى مكان واحد·· عندما كنا نعيش فى كارولينا الجنوبيـــــة وكان عمرى ست ســـنوات غادرت البيت لأول مرة ·· هربت وقضيت يوما وشطرا من الليل بعيدا عن منزلنــــا حتى اهتدى والدى الى العثور على فى أحد الاسطبلات العامة··وعندما بلغت التاسعة كنت أبيع الجرائد فى المساء ، وذات ليلة ركبت قطار الركاب المســـــافر الى أوهايو ومعى حزمة من الجرائد ·· وأمسكنى الكمسارى وأمرنى بعدم العودة الى ركوب القطار لبيع الجرائد ·· وكلما كبرت أصبح من الصعب على الاستقرار فى مكان واحد طويلا ·· كنت غالبا ما أســـائل نفسى ترى ماذا يعمل الناس فى هذه اللحظة فى مكان آخر من أمريكا ، فى مئـات القرى والمـدن الصغيرة فى الأرياف وفى المدن الـكبيرة ·· وأجدنى أود الذهاب الى هذه الأماكن لأكتشف بنفسى ·

وفى صيف عام ١٩١٩ كان كالدويل يقود سيارة تطوف بطبيب على المرضى المتناثرين فى البلدة وفى الأنحاء القريبة والبعيدة ·· كان يقوم بجولات تستغرق اليوم بأكمله يقطع فيها الكثير من الأميال ، متخطيا القنوات صاعدا التـــلال ،

قاطعا مساحات كبيرة من جيفرسون وبيرك وجلاسكوك ..
ولم يكن يتلقى أجرا عن قيادة السيارة ، ولم يتوقع أن يأخذ
أجرا ، انما كان كل همه حينئذ هو معرفة كيف يعيش الناس
في الريف ؟ وكان سعيدا بهذه الفرصة التى أتيحت له .

وفى أوقات أخرى من ذلك الصيف كان والده القسيس
يأخذه معه فى أثناء تجواله بين القرى لزيارة أعضاء كنيسته
ورعاية الفقراء ..ولاحظ كالدويل أن هناك نمطا واحدا مشتركا
من الحياة فى بيوت هؤلاء الفلاحين الذين يزرعون القطن ، وكان
التبغ يزرع قبل ذلك بكميات وافرة في نفس هذه الأرض
وكانت لا تزال هناك بعض طرق التبغ المهجورة فى هذه
المنطقة ، ولاحظ كالدويل التناقض الكبير بين الرفاهية
النسبية التى يعيش فيها معظم الملاك فى المدن القريبة مثل
واينسبورو ولوزفيل وبين الفقر المدقع الذى يعيش فيه
الفلاحون فى الريف .. ويقول كالدويل : لم نكن نحن
أنفسنا من الأغنياء ، ولكن معظم الناس الذين رأيتهم فى أثناء
تجوالى كانوا يعيشون فى مستوى اقتصادى أقل منا بكثير ..
لم يحدث ان جعنا أبدا ، ولكن كثيرا ما كنت لا أجد الطعام
الذى أحب أن آكله .. بينما كان هناك أناس كثيرون حولنا
يجوعون دون شك عاما بعد عام .

ظل كالدويل عامين فى المدرسة العليا بمقاطعة
جيفرسون ، ولكنه ضاق بالدراسة وضاق بالأفق المحدود فى
ولاية جورجيا الشرقية وأراد أن يعرف المزيد عن العالم الذى
وراءها .. فترك الدراسة بهذه المدرسة العليا والتحق بكلية
أرسكين بديو وست بكارولينا الجنوبية .. وكانت هذه هى
تجربته الأولى فى الاقامة بعيدا عن العائلة وعن المنزل ، ولم
يكن قد بلغ السابعة عشرة من عمره بعد .. وقد أحب
كالدويل الحرية النسبية التى وجدها فى حياة الكلية ، ولكنه
شعر بالتعاسة حيث ينفق وقتا طويلا من حياته من أجل
التعليم فى هذه المنطقة المحدودة .. فكان ينطلق فى نهاية
الأسبوع الى أى مكان يستطيع الذهاب اليه .. ووجد أن أيسر
سبيل للانتقال من ديووست الى أية جهة أخرى أن يتسلق
قطار البضائع يوم الجمعة أو ليلة السبت ويظل راكبا القطار

الى أقصى مكان يمكن أن يصل اليه فى الصباح ٠٠ وكان يذهب عادة الى جرينفيل أو سبارتنبرج ، أو اندرسون ، أو جرينوود أو كلومبيا ٠٠ ويعود الى ديووست فى قطار بضائع ليلة الأحد أو يوم الاثنين فى الصباح الباكر ٠

ولم يصبر كادويل أيضا على الدراسة فى هذه الكلية فقرر أن ينطلق الى العالم العريض ٠ كان يفضل دائما الدخول فى معترك الحياة والتنقل والتجوال وحياة التشرد وعدم الاستقرار على المعاهد والكليات والشهادات الجامعية ٠٠ ويقول كالدويل فى بداية كتابه « سمها خبرة » : ان أهم الدروس التى تعلمتها فى تلك السنوات الأولى آن الحياة نفسها أفضل معلم ٠٠ سمها خبرة اذا شئت ، ولكن مهما كان اسمها ــ فاننى ظللت منذ ذلك الحين أبحث عنها ٠

بيد أن هذا لا يعنى أنه لم يستفد من دراساته بالمعاهد والجامعات ٠٠ الواقع أن دراساته أيضا كان لها أثر كبير فى كتاباته ٠٠ وكان يهتم بمواد دون أخرى ٠٠ كان يهتم بالمواد التى يشعر بحاسته الفنية أنها تفيده فى الطريق الذى اختطه لنفسه ٠٠ وقد التحق فى سبتمبر عام ١٩٢٢ بجامعة فرجينيا وان لم يتخرج منها أيضا ٠٠ وكانت أهم المواد التى تثير اهتمامه فى أثناء دراسته بها هى اللغة الانجليزية وعلم الاجتماع ٠٠ ان اهتمامه باللغة يفسر لنا فيما بعد أسلوب كالدويل ٠٠ ان كالدويل لم يتوصل الى هذا الأسلوب الذى يبدو بسيطا للقارىء الا بعد معاناة طويلة للغة ٠ فقد كان يجهد نفسه ويكتب ، ويعيد كتابة ما كتب أحيانا اثنتى عشرة مرة من أجل التوصل الى هذا الأسلوب السهل الممتع بالاضافة الى أنه كان يحتفظ فى منزله بعد ذلك بثلاث نسخ من قاموس « ويبستر » فى الوقت نفسه ٠

كما أفادته دراسته لعلم الاجتماع ٠٠ حيث كان يقوم بزيارات الى المستشفيات الحكومية والى بيوت الفقراء والى المؤسسات التى تقوم بالرعاية الاجتماعية ، وكان يكتب عما يرى ٠٠ كان فى البداية يكتب تقارير واقعية عن حقائق ، ولكنه بالتدريج بدأ يستخدم نفس المادة كايحاء «باسكتشات»

وقصص قصيرة ‥ وسرعان ما أصبحت الكتابة بالنسبة اليه لذة فائقة تستغرقه تماما ٠

وكان بعض الطلبة قد أصدروا كتبا ‥ وكان هنـــاك صديق له اسمه جوردون لويس يملك مكتبة ووعد بنشر أى كتاب يكتبه اذا رأى فيه ما يستحق النشر ‥ وفى هذه الفترة كان كالدويل يتغيب أحيانا أياما طويلة عن الجامعة فى سبيل البحث عن طريقة للكتابة ‥ وهو يقول فى هذا الصـــدد : « كنت أعرف أنى أريد أن أكتب ، وما الذى أريد أن أكتب عنه ‥ كنت أريد أن أكتب عن النـــاس الذين عرفتهم كما يعيشون ويتحركون ويتكلمون فعلا » ٠

ثم نصل الى فترة هامة من حياة أرسكين كالدويل . وهى وان كانت قصيرة الا أنهـــا كانت ذات أثر كبير فى كتاباته بعد ذلك ‥ تلك هى فترة اشتغاله بالصحافة فى جريدة « جورنال اتلانتا » ‥ ففى ربيـــع عام ١٩٢٥ وكان يبلغ من العمر واحدا وعشرين عاما ترك جامعة فرجينيا قبل التخرج بعامين، وغادر شارلوتزفيل وسافر الى جورجيا حيث التحق بهذه الصحيفة ‥ ويقول كالدويل : لم يكن لدى أى طموح فى أن أجعل الصحافة مهنتى فى الحياة ، ولــكن عمل الصحافة هو الكتابة ، وكانت الكتابة هى الشىء الذى كنت أريد أن أتعلمه‥ كان هناك الكثير لأتعلمه من الصحافة حول كتابة قصة خبرية بسيطة ٠ كان على قبل كل شىء أن أتخلى عن طريقة الاسهاب فى الكلمات التى كنت أتبعها فى الكتابة من قبل ٠ وكان على أن أكتسب مهارة كتابة ما كان يعتبره المحرر هنتربل مادة اخبـــارية صـــالحة للقراءة كان يطلب منى أن أختصر الخبر الى النصف ‥ وكانت طريقة واقعية لتعليم الكتابة ، تختلف تماما عن أية طريقة أخرى تعلمتها فى أى مكان ٠

وقد سئل كالدويل : هل العمل فى الصحافة يساعد أو يعوق كتابة القصص القصيرة ؟ فقال : لا أعرف شخصا واحدا ضره التمرين على الكتابة من أى نوع ‥ ان الصحافة بالاضافة الى أنها تفيد فى التمرين الدائب على الكتابة فانها

تساعد أيضا على تكوين عادة الكتابة كل يوم ٠٠ ان انتظار الوحى عذر قلما تجده لدى المؤلفين الذين تمرسوا بالصحافة

وخلال هذه الفترة من عمله بانلانتا جورنال (خريف وشتاء عام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦) أتيحت له فرصة مراقبة التقدم الذى كانت تحرزه من يوم لآخر مؤلفة متفرغة تماما لكتابة الروايات هى فرانسيز نيـــومان ، وكان قد تأثر بكتابها « تحولات فى القصة القصيرة » الذى نشرته فى العام السابق ٠٠ أما فى هذا العام الذى عمل فيه كالدويل بجريدة اتلانتا، فقد كانت تكتب رواية جديدة بعنوان « العذراء المحنكة » ٠٠ وكان الصحفى فرانك دانيال ـ صديقها الحميم ـ يحضر كل يوم الى الجريدة ومعه صفحة مكتوبة على الآلة الكاتبة من هذه الرواية وكانت كل صفحة عبارة عن انتاج يوم كامل فى هذه الرواية ٠٠ ويقول كالدويل : ان الصفحة الأخيرة بالرغم من أنها بدت لى نظيفة وبدون تصحيحات ، وكأنها كتبت بسهولة ودون مراجعة الا أن فرانك أكد لى أنها النتيجة النهائية لاعادة كتابتها فى يوم كامل ٠

وكان كالدويل يعود الى المنزل فى المساء ويكتب قصصا قصيرة ويرسلها بالبريد الى محررى المجلات فى نيويورك ٠٠ وكانت القصص ـ مهمـــا كان عدد المرات التى يعيد فيهـــا كتابتها ترد اليه دائما ، دون تعليق فى العادة ، وكان العزاء الوحيد له خلال عدة سنوات من محاولة كتابة القصة القصيرة ان قبلت احداها ونشرت فى مجلة محلية صغيرة ٠

فى منتصف عام ١٩٢٦ قرر كالدويل أن تكون الخطوة التالية هى ترك العمل بجريدة اتلانتا ، بعد أن اشتغل بهـــا عاما واحدا ٠٠ وكان قد كتب حوالى أربعين أو خمسين قصة قصيرة دون أن ينجح فى نشر قصة واحدة منها ٠٠ ويقول كالدويل : اننى تحققت فى أثناء هذه الشهور الاثنى عشر من أننى أريد أن أصبح قبل كل شىء مؤلفـــا محترفا ٠ وهكذا ألفيت نفسى أطرح الحكمة جانبا ، وأترك عملى بالجريدة حتى أستطيع تكريس وقتى كله لكتابة القصص القصيرة والروايات وعاهدت نفسى على أن أى عمل أنشغل به غير الكتابة ســوف

يكون مؤقتا ، فقط من أجل الاستمرار فى العيش ، والاحتفاظ بسقف فوق رأسى ، وبكساء فوق جسدى ٠

بعد أن اتخذ هذا القرار كان عليه أن يختار مكانا يعيش فيه ٠٠ كان قد عاش حتى الآن فى الجنوب فيما عدا بضعة شهور قضاها فى بنسلفانيا ٠٠ لذلك أراد أن يختار مكانا فى الشمال حتى يكون على بعد جديد من الحياة التى عرفها فى الجنوب والتى أراد أن يكتب عنها ٠٠ وبدا له أنه يستطيع أن يصورها أفضل وهو فى هذا البعد الجديد ، فاختار «ولاية مين» لأنها بالاضافة الى تكاليف المعيشة البسيطة فيها بدت له على « الخريطة » مكانا بعيدا ٠

وتعد فى الواقع قصة كفاح أرسكين كالدويل من أجل الكتابة بعد أن خاطر باستقالته من عمله المضمون بجريدة اتلانتا قصة رائعة تمثل الانسان فى تحديه للفشل واليأس ٠٠ وتمثل التعب والجهد والمثابرة والعمل المتواصل من أجل تحقيق الهدف ٠٠ ولعل أروع أجزاء الكتاب الثلاثة التى تحدث فيها كالدويل عن حياته الأدبية هو الجزء الأول الذى كشف فيه عن هذه السنوات المبكرة قبل أن يتمكن من نشر أى عمل فنى له ٠

وعندما ذهب الى مين شعر أنه يستطيع أن يكتب ما يريد فى هذا المكان بعيدا عن منغصات الحضارة ، ولكن كان عليه قبل كل شىء أن يوفر الطعام والوقود من أجل الشتاء الطويل فى ولاية مين الباردة ٠٠ والطعام هناك يعنى البطاطس والوقود يعنى الخشب ٠ وهكذا قام بزراعة البطاطس وقطع الأخشاب ٠٠ وسرعان ما أصبح قطع الأخشاب شغله فى أثناء النهار وكتابة القصص القصيرة شغله فى أثناء الليل ٠٠ وكان النوم بالنسبة اليه ترفا من الصعب الحصول عليه فى الشهور الأولى من اقامته فى مين ٠٠ فقد أراد أن ينتهى من تخزين طعامه ووقوده قبل حلول الشتاء القارس الطويل بثلوجه ٠

ولم تكن لديه فكرة عن كمية الخشب اللازمة لتدفئة البيت من سبتمبر لمايو ، وكان الجو قارس الجرودة والثلوج

تغطى المنطقة كلها ٠٠ كان يقضى وقته بالدور الاعلى فى حجرة ليس بها تدفئة لأنه اضطر أن يحتفظ بالخشب من أجل موقد المطبخ فقط ٠٠ فيجلس الى الآلة الكاتبة وقد ارتدى «بلوفرا» وصديريا جلديا ومعطفا ولف حول قدميه بطانية . ومن حين لآخر يتوقف عن الكتابة لينفخ فى أصابعه المخدرة من البرد ٠٠ كان يظل من عشر الى اثنتى عشرة ساعة يوميا ـ فى أثناء الليل غالبا ـ يكتب قصة وراء قصة ويراجع ويصحح ويعيد الكتابة باصرار عنيد ، دون نظر الى الوقت ، أو الى أى معوق يعوقه عن استمرار فى المحاولة ، لكن البرد فى شهر فبراير كان أكثر مما تصوره كالدويل ، فاضـــــطر قبل نهاية هذا الشــــهر أن يرحل الى الجنوب وبخاصة بعد انتهاء تموينه من البطاطس والوقود ٠٠ وقد وجد فى هذا مبررا معقولا للذهاب الى أى مكان ٠٠ فقد كان يكره الاســـتقرار فى مكان واحد مدة طويلة كما رأينـــا ٠٠ ويقول كالدويل : أعتقد أن أحد الأسباب التى جعلتنى أستقيل من وظيفتى بالجورنال اتلانتا حاجتى الى حرية التنقل والترحال والســـفر كلما سنحت الفرصة ، وقد بدا لى أن مهنة الكتابة ليست من المهن التى تحتاج الى استقرار فى مكان معين ٠

بعـــــد أن غادر « مـــــين » ذهب فى بداية الأمر الى شارلوتزفيل ، ثم رحل بعـد ذلك الى أوجستا ، وأقام عدة أسابيع فى كوخ مكون من حجرة واحدة فى غابة الصـــنوبر بالقرب من مورجانا بكارولينا الجنوبية ٠٠ وكان طعامه فى الوجبات الثلاث عبارة عن علبة لحم وفاصوليا ٠٠ وكان يكتب لمدة ست عشرة ساعة أو ثمانى عشرة ساعة متواصـــلة ، ثم ذهب الى بالتيمور وكان يعيش على أكل العدس ٠٠ وهناك فى غرفة بشارع شارل راح يواصـــــل فى اصرار عنيـــــد كتابة القصص القصيرة ، وعندما نفد ما معه من نقود ، كان الربيـــع قد حل ، فعاد كالدويل الى ولاية مين فى الشمال ٠

وفى هذه الفترة ـ عام ١٩٢٧ ـ بدأ يتلقى ملاحظـات قصيرة على قصصه من المشرفين على باب القصة فى المجلات بدلا من رجوع القصص وعليها الرفض المطبوع ٠٠ فحتى ذلك

الحين لم تقبل أية مجلة نشر قصة له ، ولكن ها هو ذا يتلقى من وقت لآخر على الأقل تعليقا على قصصه المرفوضة ٠

ويقول كالدويل عن موقف المجلات من قصصه : كان هناك دائما سبب ما لتبرير عدم نشر القصة ، فهى طويلة جدا أو قصيرة جدا ــ أو مكتوبة بطريقة مبالغ فيها ، أو واقعية أكثر من اللازم بالنسبة لاذواق هيئة التحرير ٠٠ كان من المدهش كثرة عدد الأسباب المعقوله وغير المعقولة التى يمكن التعلل بهـــا لرفض قصصى ، وكنت أتلقى فى بعض الأحيان نصائح ، وأنا لست ضد النصائح مبدئيا ، طالما أنها تتفق أساسا مع الطريق الذى أسير فيه ، ولكن بدا لى دائمـــا أن النصائح التى تلقيتها كان المقصود بها شـخصا آخر غيرى وأنها وصلتنى بطريق الخطأ ٠٠ نصحنى أحد المحررين بأن أدرس بعناية طريقة القصص التى تنشر فى مجلته ، وأحاول ما استطعت أن أكتب مثلها ، وقال لى محرر آخر ان لى مستقبلا فى كتابة مقالات تتعلق بالتجارة فى موضوعات مثل الديكور والأثاث والأرضية ، وكلف أحد المحررين خاطره وكتب لى خطابا مطولا ينصحنى فيه بالتخلى عن محاولة كتابة قصص قصيرة ، قائلا ان رأيه هو أننى لن تكون لى قدرة أبدا على الاستمرار فى كتابتهـــــا ، وان اصرارى على كتابة القصص القصيرة سوف يجعل من الصعب على تحمل الفشـــل المطلق الذى سامنى به فى النهاية ! كانت هذه المراسلات مســـلية تجعلنى أنتظر شيئا ما فى البريد ، ولكنها لم تســـــتطع أن تشجعنى ولا أن تثبط من همتى ٠٠ كان لدى شـــعور بأن قصصى تتطور يوما بعد يوم ، أو على الأقل أصـــــبحت أكثر صـــلاحية للقراءة ٠٠ لقد بدأت أمتلك القدرة على أن أصوغ وأشكل أحداثا متخيلة فى قصة تعطى التأثير الذى أردت أن أخرج به كقارىء تماما كما لو آن ليس هنـــــاك أحد غيرى سيقرؤها ، معتقدا أن الكاتب نفســـه ينبغى أن يرضى عن قصته قبل أن يفعل ذلك الآخرون ٠٠ ولم تكن لدى ثقة كبيرة فى قدرتى على تحليل قصة كما يفعل الناقد ، ولكنى بدلا من ذلك كنت أبحث عن حدة الاحساس فى القصة ، وازنا تأثيرها العاطفى بحاستى الفنية الداخلية ، واذا جذبتنى بقوة احدى

القصص التى كتبتها ، حتى لو كانت تفتقر الى الأســـلوب التقليدى فى الكتابة القصصية ، كنت أشعر بتمام الرضا عن هذه النتيجة ٠٠ كنت آمل أن يأتى الوقت الذى يقبلها فيــه الآخرون ومن بينهم المحررون ، يقبلونها باعتبارها الطريقة الوحيدة الممكنة لكتابة هذه القصة المعينة ، سواء كتبتها أنا أو كتبها غيرى ، كى تعطى التأثير المطلوب ٠

وفى أوائل عام ١٩٢٩ تلقى كالدويل أول خطــاب من نوعه منذ بدأ يحاول الكتابة أى منذ أكثر من ستة أعوام ، أيام كان لا يزال طالبا بجامعة فرجينيا ٠٠ كان الخطاب من محرر سلسلة كتاب « النيو امريكان كارافان » يخبره فيــه بأنهم وافقوا على نشر قصة له فى هذا الكتاب الدورى الذى يحتوى على مجموعات من القصص القصيرة ، ويقول كالدويل: كنت قد كتبت هذه القصة قبل ذلك بعام فى مونت فيرنون بولاية مين وأرسلتها الى عشر مجلات أو اثنتى عشرة مجلة من المجلات الصــغيرة المحدودة الانتشار ، ولم اكتشــف الأمر الا فيما بعد وهو آن احدى هذه المجلات نشرت القصة وغيرت عنوانها دون علمى ٠٠ وقد دفعت لى النيو امريكان كارافان مقابل هذه القصة أقل من خمسة وعشرين دولارا ، ولكن هذا لم يكن يهمنى ، كان أهم شىء بالنسبة لى هو أن هناك شخصا ما فى مكان ما قد قبل أخيرا احــــدى القصص التى كتبتها ٠ وتلاشت من ذهنى فجأة كل ذكريات الفشل واليأس التى عانيتها سنين طويلة فى محاولة نشر قصصى ٠٠ ونتيجة لهذا الخبر السار بدأت أبعث الى المجلات قصصى القصيرة بالجملة ٠٠ كنت أحيانا أرسل ستا أو سبع قصص فى المرة الواحدة وخلال ستة أشهر قبلت لى بعض القصص فى مجلات محدودة وبالرغم من أننى حققت الهدف من الناحية التكنيكية ، الا أنه لم يكن من بين هذه المجلات مجلة تعتبر واسعة الانتشار ٠٠ وكان ما زال امامى طريق طويل ٠٠ وكان ما تدفعه لى هذه المجلات ، اذا دفعت ، أقل مما قدمتــــه لى النيو امريكان كارافان ٠

ونتيجة للحماس الذى امتلأ به كالدويل من خطاب النيو أمريكان كارافان ملأ حقيبته بمخطوطات كثيرة فيها كل أنواع

الكتابة ، روايات قصـــيرة ـ أجزاء من روايات غير كاملة ، شعر ، نكت ، مقالات ، وعشرات من القصص القصـــيرة ، وسافر الى نيويورك ٠٠ كان يأمل فى نشر هذا الانتاج بطريقة ما ، ولكنه فشل فى الوصول الى مكاتب التحرير ، واتضح له أن ضمان التفات أحد المحررين بالاتصال الشخصى أصعب من ضمان التفاته عن طريق البريد٠٠

وقبلت احدى دور النشر رواية صغيرة له أطلقوا عليها عنوان « اللقيط » وظهرت الرواية فى طبعة محدودة غالية ، بعد نشر قصته فى النيو امريكان كارافان بوقت قصير ٠

وفى أحـــد الأيام تلقى كالدويل خطابا من ماكسويل بيركنز رئيس تحرير مجلة سكربنر الشهيرة وقال بيركنز فى خطابه انه قرأ قصة أو قصتين لكالدويل فى مجلات صغيرة وأن مجـلة سـكربنر تريد أن ترى بعض قصصـه التى لم يسـبق نشرها ٠٠ كانت المرة الاولى التى يدعوه فيها أحد الى تقـديم قصصه للنظر فيها ، وهـذه المجـلة تعتبر من المجلات الواسعة الانتشار .. ومن ثم كان هـذا الخطاب يعنى بالنسبة لكالدويل خطوة كبيرة الى الأمام .. وقـد ألهبه بالحماس والمثابرة على الكتابة مدة ثلاثة أشهر بطريقة لم تحدث له من قبل ولم تحدث له بعد ذلك أبدا . وراح يبعث الى ماكس بيركنز بقصة قصيرة يوميا لمدة اسبوع .. ولكن سرعان ماتعود له القصـة بالبريد مصحوبة بالرفض كالعادة ، وكان فى حـالة لاتقبل اليأس وفرض على نفسه نظام كتابة قصتين فى الأسبوع بعد ذلك .

وعاد الى الجنوب ثانية ، ووجد فى أوجستا مـكانا رخيص التكاليف . وهناك راح يواصل الكتابة ليلا ونهارا عدة أسابيع ، وكان يخرج مرتين فقط فى اليوم لشراء علبـة فاصوليا ورغيف .. وكانت الحجرة بدون تدفئة ، وعندما اشتكى هـددته صاحبة البيت بطرده لأنه يزعج السـكان بدقات الآلة الكاتبة التى يدق عليها حتى السـاعات الأولى من الصـباح ، وقالت له ان النـاس الشرفاء يذهبون الى أعمـالهم بالنهـار بدلا من البقاء فى البيت والدق على الآلة

الكاتبة طول الليل . وفضل ان يسحب شكواه لأن ايجار الحجرة كان رخيصا جدا .

وكان كالدويل يرسل القصص التى ترفضها مجلة سكربنر الى المجلات الاخرى الصغيرة فتنشر بعضها وترفض بعضها الاخر ، ولكن كان همه الأكبر هو تحطيم حاجز المقاومة فى مجلة سكربنر ·· كان يكتب قصة جديدة كل أسبوع ويرسلها بسرعة الى ماكس بيركنز ، وكان ذهنه يجد آلاف الموضوعات الصالحة للكتابة ـ ولكن مشكلته كانت فى ايجاد الوقت الكافى لكتابة كل مايريد أن يكتبه ·· لم تكن تكفيه الأربع والعشرون ساعة التى يحتويها اليوم ، وكان لايملأ المنبه ثم رأى بعد ذلك ان افضل طريقة ان يخفى هذا المنبه عن ناظريه ·· وما أن تعود له قصة حتى يرسلها بسرعة الى أية مجلة أخرى حتى تقبل وتنشر ، وأصبحت مصروفات البريد تشكل لديه بندا أكبر من الطعام والسجائر ·

وأخيرا ، وبعد حملته بالقصص على مجلة سكربنر لمدة ثلاثة اشهر ـ تلقى فى نهاية مارس خطابا من ماكس بيركنز بقبول إحدى قصصه دون تحديد قصة معينة . وبعد ليلتين ويوم انتهى كالدويل من ثلاث قصص جديدة ، واختار ثلاث قصص أخرى من قصصه القديمة حتى يكون امام بيركنز فرصة اكبر للاختيار .

وفى الجزء الثانى من كتاب «سمها خبرة» يتناول كالدويل المرحلة الوسطى من حياته الأدبية بعد أن بدأت قصصه تفرض نفسها على المجلات .. فقد عاد كالدويل الى ولاية مين بعد أن اشترى منه ماكس بيركنز قصتين لنشرهما فى مجلة سكربنر · وكانت بداية الصيف ، وعاد الى قطع الأخشاب بالنهار والاهتمام بزراعة البطاطس عند الغروب والكتابة فى أثناء الليل . وبدلا من العمل على كتابة أكبر كمية من القصص القصيرة ابتدأ يقتصر على كتابة قصة واحدة فى الأسبوع .. انه الآن يكرس وقتا أكثر للقصة الواحدة ، ونتيجة لذلك وجد ان القصص التى يكتبها اكثر ارضاء لنفسه .. وكلما كتب قصة جديدة أرسلها سريعا الى ماكس بيركنز . ومع ذلك كانت ترد له دون نشرها

فيضطر الى ارسالها الى المجلات الصغيرة فاذا رفضت القصة من أكثر من ست مجلات مزقها وتخلى عن فكرتها نهائيا .

وفى يوليو عام ١٩٣٠ غادر البيت الذى أقام فيه فى أثناء الصيف وانتقل الى كوخ صغير على بحيرة باركز حيث أصبح فى مقدوره ان يسبح بين فترات الكتابة والعمل العضلى .. وكان من كثرة انشغاله بالكتابة خلال السنوات الماضية أنه لم يستطع التوقف والرجوع الى ماكتب خلال تلك الفترة .. فجمع كل ماكتبه واخذه الى الكوخ لقراءته .. كان لديه حوالى ثلاث حقائب مليئة بأعماله غير المنشورة ولكنه بعد أن امضى ليلة فى تجميع كل هذه الأعمال وجد نفسه غير راض عنها فحملها فى صباح اليوم التالى الى شاطىء البحيرة وأحرقها جميعا .. وكان الشعر والمقالات والنكت اول مادفع به الى النار .

وبعد أسابيع قليلة من حرق هذه الأعمال تلقى خطابا من ماكس بيركنز يقول له فيه انه فكر فى القصص التى قدمها كالدويل فى الفترة الأخيرة وأن من الممكن اصدار مجموعة منها فى كتاب يظهر فى أوائل السنة الجديدة .. واقترح عليه بيركنز جمع عدد كاف من هذه القصص التى نشرت والتى لم يسبق نشرها لتكون مادة كتاب من مائتين وخمسين صفحة أو من ثلثمائة صفحة .. كانت هناك حوالى خمس عشرة قصة نشرت او قبلت للنشر واضاف اليها عشر قصص جديدة وقرر ان يسمى الكتاب « أرض امريكية » .

وبعد أن حصل كالدويل على مقدم العقد قام برحلة طويلة الى لوس انجلوس وكانت رغبته فى الكتابة أكبر من رغبته فى زيارة معالم هوليود الشهيرة .. فكان لايخرج من الفندق الا ليتناول طعامه ثم يعود الى الانهماك فى كتابة القصص .

وبعد مضى ستة أسابيع عليه فى الفندق اتضح له أنه غير راض عن تقدمه .. ويقول كالدويل انه فى هذه الفترة من اكتوبر ونوفمبر عام ١٩٣٠ بدأ يتضح له شيئا فشيئا

انه لن يكون راضيا عن أى عمل يكتبه تمام الرضا حتى يكتب رواية طويلة ، وان تكون هذه الرواية عن الزارعين الفقراء الذين عرفهم فى جورجيا الشرقية .. فبرغم انه بعد عن ريف جيفرسون مدة طويلة ، شعر بأنه لن يستطيع أبدا ان يكتب بنجاح عن أناس آخرين فى أماكن أخرى مالم يكتب أولا قصة العائلات الفقيرة المحرومة من الارض التى تعيش فى التلال الرملية وطرق التبغ فى جورجيا الشرقية ..وبدت له الروايات التى كان يقرؤها أيام كان يقوم بعرضها فى الصحف بعيدة عن الحياة اكثر مما بدت له فى أى وقت مضى .. انها تتعلق بمواقف مختلفة وأحداث مصطنعة اكثر مما تتعلق بالواقع ، ثم يقول كالدويل : واردت ان احكى قصة الناس الذين عرفتهم بالطريقة التى يعيشونها فعلا من يوم الى يوم ومن عام الى عام — وان اقصها دون نظر الى أساليب الكتابة المتبعة او الى العقد التقليدية ، وبدا لى ان المادة التى هى اكثر اصالة ودواما فى الفن الروائى — هى الناس أنفسهم وليست العقد المحبوكة ، واتخذت قرارا : حزمت حقيبتى وسافرت عبر الأريزونا ونيومكسيكو وتكساس عائدا الى جورجيا .

ووصلت منزلنا .. كنا فى شهر ديسمبر وكان الجو رطبا وباردا ، وكانت غيطان القطن بنية والأسيجة مهملة .. وعلى بعد أميال معدودة من المدينة الصغيرة ، كانت العائلات فى مزارع المستأجرين متجمعة حول النار فى أكواخ متواضعة.. كان أغلب هذه العائلات فى حالة يأس .. كان بعضها فى حالة جوع كالعادة ، وبعضها الآخر مريضا لا يجد أية عناية طبية .. الطعام والملابس شىء نادر ، وفى بعض الحالات لا يوجد شىء منهما على الاطلاق ، وكان من النادر الحصول على أى عمل .. لم يكن مشهدا سارا .. كانت اللوحة تبدو أكثر قتامة الآن مما بدت لى منذ سنوات ، وكانت حياة الفلاحين الاقتصادية فى جورجيا الشرقية غير سليمة منذ زمن طويل .

ثم يقول كنت أخرج الى الريف يوما بعد يوم .. فأزداد كآبة وهما بما أشاهده كلما توغلت بعيدا عن البيوت المستقرة والطرق العامة .. لم أستطع التعود على منظر

الأطفال وقد ربطت فوق بطونهم الأحزمة حتى لا يقرصهم الجوع .. ومنظر المرضى والعجائز وقد بلغ بهم الضعف انه لم تعد بديهم القدرة على المشي الى الفيطان للبحث عن شيء يسدون به رمقهم ، وكنت فى المساء أكتب عما رأيته فى أثناء النهار ، ولكن لم يفلح شيء مما سطرته على الورق فى نقل المعنى الكامل للفقر واليأس والانحطاط كما رأيته.. وكلما توغلت عبر ريف بيرك وجيفرسون وريشموند شعرت بمزيد من عدم الرضا عما كتبته .. كانت هناك فى ذهنى القصة التى أريد أن أكتبها ، وكان لابد من أن أسردها كما يعرفها الناس أنفسهم .. وأخيرا ، وبعد أن تبين أن هذه القصة عمل لابد من القيام به قبل أن يكون فى مقدورى الكتابة عن أى شيء آخر ، غادرت البلدة وذهبت الى نيويورك .. وقد كانت العزلة الفكرية والروحية التى حصلت عليها هناك هى المسألة التى كنت أنشدها ، وبدأت بأن مزقت كل ما كتبته عندما كنت فى جورجيا ، ثم كتبت العنوان الذى قررت أن أتخذه للرواية فى أثناء ركوبى الأتوبيس فى نيويورك .. كان هناك عنوان واحد فقط يصلح للرواية .. طريق التبغ وكان هذا الاصطلاح يطلق فى الأصل على الطرق الرئيسية التى مهدت أو ظهرت نتيجة دحرجة براميل التبغ الثقيلة من مزارع جورجيا الشرقية حتى نهر سافانا ، ولكن بعد أن لم تعد هذه الطرق تستخدم لهذا الفرض ، عادت الى الملاك الذين لم يستطيعوا أن يحتفظوا بها فى حالة سليمة ، ولم يكن فى ذهنى أدنى شك عن نتيجة الرواية من ذلك الوقت حتى انتهيت من مسودتها الاولى بعد ذلك بثلاثة أشهر ، وكانت عادتى اليومية أن أستيقظ قبيل الظهر ، أتناول افطارى المكون من خبز وجبنة ، وأبدأ الكتابة .. كانت القصة التى أريد كتابتها من الوضوح فى ذهنى بحيث انى لم أكن أضيع الوقت فى الرجوع لقراءة ما كتبته فى اليوم السابق ، وكنت أتوقف عن الكتابة ساعة فى فترة الظهيرة واذهب لاحتساء طبق من الشوربة ، وللتنزه فى أحد الشوارع ، ثم أعود لأكتب وأعيد كتابة ما كتبت حتى الساعة الثالثة أو الرابعة صباحا .. وبمجرد ما ينتهى أحد الفصول ، أراجعه حتى أشعر بالرضا عنه ، ثم أبدأ فى كتابة الفصل الذى يليه . وعندما

بدأ الورق الموجود عندى ينفد استخدمت الوجه الآخر حتى أوفر ثمن ورق جديد ، ولم أشعر بوحدة فى أثناء تلك الفترة من أوائل عام ١٩٣١ .. ويرجع ذلك فى الاغلب الى أننى كنت مستغرقا استغراقا تاما عميقا فيما كنت أكتبه، وقلما أقابل أحدا وخاصة المشتغلين بالكتابة والنشر ، حتى ماكس بيركنز منعت نفسى من التحدث اليه ولو بالتليفون ، وانتهيت من المسودة الأولى لطريق التبغ فى الأسبوع الأول من ابريل عام ١٩٣١ . وكانت تبلغ حوالى ٢٠٠ صفحة فولسكاب .

وصدرت مجموعته القصصية « أرض امريكية » .. وهنا يروى كالدويل تجربته مع النقاد والمعلقين .. فقد ظهرت تعليقات متباينة فى الصحف .. بعضها فيه ثناء وتعاطف مع المجموعة ، ولكن معظم التعليقات كانت ضدها .. ولم يكن كالدويل يتوقع كثيرا من المديح لهذه المجموعة لأنه كان يدرك جيدا بعض عيوبها ، ولكنه لم يكن متأهبا لمواجهة كل هذه الحملة من النقد المرضد المجموعة .. وكانت تجربته الشخصية ـ عندما كان يقوم بعرض الكتب الجديدة والتعليق عليها بالصحف ـ تجعله لا يتوقع شيئا غير الثناء .. ويقول كالدويل : كان من المضحك أن أغلبية النقاد ، فى الوقت الذى يظهرون فيه جهلهم بدعواهم ، تجدهم دائما يكنون نوعا من الازدراء أو السادية فى مدحهم كتاب قصص .. وكانت الملاحظات التى أبديت على كتابى غير فريدة فى هذه الناحية .. ويبدو أن هناك أساسا من الحقيقة فى القول بأن معظم النقاد والمشتغلين بعرض الكتب فى الصحف كانوا فاشلين فى الحب أو فى التأليف ، وكأنما لا بد لمن يريد أن يصبح ناقدا أن يستعرض قدرته على الحب وعلى كتابة الروايات .. وباستثناء ملاحظات بعض النقاد ، وجدت أن الأغلبية منهم نظرت الى مجموعة قصص « أرض أمريكية » بازدراء . وبدا لى أن معظم النقاد قد تجاهلوا التزاماتهم النقدية نحو اطلاع القراء على أى شىء يتعلق بمضمون الكتاب وبأية طريقة والى أية درجة نجح الكاتب أو فشل فى محاولته كتابة رواية شائقة جديرة بالاهتمام .. ولم أعد أشعر بأى احترام لمهنة عرض الكتب . واقتنعت بأن عملية التعليق على الكتب بالصحف ليست سوى خطوة

أولى جديرة بالرثاء فى مهنة الصحافة الامريكية ، وقد أسىء استخدام هذه المهنة بوساطة محررين سلبيين وكتاب تعليقات مرضى نفسيا .

وبعد تجربته هذه مع النقاد والمراجعين راح يعمل فى المسودة الثانية من « طريق التبغ » بوعى أفضل بما يريد أن يحققه . وحتى ذلك الحين كان يضع فى اعتباره استقبال النقاد للعمل الأدبى ، وكان يعتقد أن نجاح الكاتب يعتمد الى حد بعيد على كسب رأى هؤلاء الذين يكتبون التعليقات على الكتب . أما الآن فقد زال عنه هذا الوهم .. وفى نفس الوقت تعلم درسا هاما وهو أن الكاتب ملتزم أمام نفسه وأمام قرائه ، وأن كل جهوده ينبغى أن توجه نحو هذين الطرفين .. وعلى هذا الأساس رأى أن النقاد فى مقدورهم أن يعلقوا الاحذية فى أى مكان ، أما القـراء فهم الذين يحق لهم أن يصدروا الحكم الأخير على كتبه .

وبعد صدور روايته « طريق التبغ » لم يتغير رأيه بشأن النقاد والمراجعين .. لم يفرح لمديحهم له ، ولم يسخط لهجومهم عليه ، وظل موقفه العقلى بعد نشر « طريق التبغ » كما هو عندما انتهى من كتابتها .. ويقول كالدويل كان من المستحيل أن يقنعنى أحد بأن الرواية لم تسرد قصة جيدة جديرة بالقراءة أو أن فكرتها عن الحياة ليست فكرة أصيلة .

أراد كالدويل بعد ذلك أن يكتب رواية تدور حوادثها فى الشمال فى مين قبل أن يعود الى الكتابة عن الجنوب ، وكان قد أزمع اصدار سلسلة من الروايات التى تدور حول الحياة فى الجنوب ، ولكن الرواية التى كتبها عن الشمال لم تكن صالحة للنشر .. فشرع فورا فى الكتابة ثانية عن الجنوب .. وهكذا بدأت قصته مع رواية « قطعة أرض الله الصغيرة » ..

كان كالدويل يحب أن يكتب كل كتاب جديد فى مكان جديد .. وبالرغم من أنه أقام فى مونت فيرنون بولاية مين عدة سنوات

الا أنه لم يكن قد كتب هناك كتابا حتى ذلك الحين . لقد كتب أغلب قصص « أرض أمريكية » فى أوجستا ومورجانا وبالتيمور وبورتلاند ، كما أنه كتب «طريق التبغ» فى حجرة بنيويورك.. ولذا شعر بالسعادة وقد أتيحت له الفرصة ليكتب روايته الجديدة فى منزله بولاية مين فى ربيع ١٩٣٢ .. وكما كان يحب أن يكتب كل كتاب جديد فى مكان جديد أحب أيضا أن يجرب فى كل مرة الكتابة بطريقه جديدة ، وكان حتى الآن يكتب مسودتين أو أكثر لكل رواية أو قصة طويلة ، ويعيد كتابة القصص القصيرة ويراجعها مرات كثيرة . وعندما بدأ فى كتابة رواية « قطعة أرض الله الصغيرة » أراد أن تكون المسودة الأولى رواية مكتملة جاهزة للنشر بمجرد الانتهاء من آخر صفحة فيها .. وكانت قصة « قطعة أرض الله الصغيرة » واضحة فى ذهنه ، والشخصيات مألوفة لعقله ، حتى انه كان واثقا أن من الممكن كتابتها بهذه الطريقة .. وعندما انتهى من الصفحة الأولى تيقن أن الرواية يمكن أن تمضى على هذا النحو . وأخذ الورقة المكتوبة من الآلة الكاتبة ووضعها مقلوبة على الأرض ، ولم ينظر اليها ثانية حتى انتهى من كتابة الصفحة الأخيرة .. بعد شهرين كان قد انتهى من ثلثى الرواية . ومع أنه لم يقرأ شيئا منها منذ رفعها عن الماكينة ، الا أنه كان لديه شعور بالثقة والرضا التام عما كتبه ، وكانت كتابة الصفحة الأخيرة ـ والفقرة الأخيرة ، والجملة الأخيرة ثم الكلمة الأخيرة فى رواية « قطعة أرض الله الصغيرة » أكثر تجربة واشباعا وارضاء لنفسه منذ بدأ يحاول الكتابة ، ويقول كالدويل : لقد شعرت بالرضا عما كتبته أكثر مما حدث لى عندما انتهيت من كتابة طريق التبغ .. وذلك لان الرواية تغطى مسرحا أكبر ، وتنسج فى قصة واحدة طريقة الحياة فى طاحونة بمدينة صغيرة بالجنوب والحياة اليومية للعائلة فى مزرعة .. وقد بدأت القصة الجديدة هذه بثقة وبدون تلك المخاوف أو تلك الريبة التى كانت تخامرنى فى أثناء كتابة رواياتى السابقة حيث كنت أخشى النتيجة .. وأصبح لدى يقين الآن لأول مرة بأننى أصبحت كاتبا محترفا .

والواقع أننا نجد كالدويل أنجح مايكون عندما يقدم الشخصيات الجنوبية الريفية .. وقد فطن هو الى ذلك ..

فكتب سلسلة من الروايات التى تدور فى الجنـــوب مثل « شغب فى يوليه » التى نشرها عام ١٩٤٠ .وهى تدور حول السياسة فى مدينة صـــغيرة وتأثيرها على حيـاة الناس فى المجتمع ، ورواية « أرض فاجعة » عام (١٩٤٤) التى تصور اضطرار الفتيات الى ممارسة الرذيلة تحت تأثير المال والهدايا فى أحد الأحياء الفقيرة القذرة باحدى المدن الجنوبية الصغيرة ، ورواية « يد الله الواثقة » عـام (١٩٤٧) ، ورواية « هذه الأرض نفسها » عام (١٩٤٨) ورواية «مكان يدعى استرفيل» عام (١٩٤٩) التى تصور بشاعة التفرقة العنصرية ، ورواية « حادث فى بالميتو » التى نشرت عام ١٩٥٠ .. على أن رواية من هذه الروايات لم تبلغ مابلغته روايته « قطعة أرض الله الصغيرة » من قوة وحيوية وشهرة .. حتى لقد بيع منها فى الطبعة الشعبية وحدها أكثر من خمسة ملايين نسخة ، وكانت أول رواية تترجم له الى الفرنسية .

وبعد هذه الرواية راحت دور النشر تتخـــاطف كتبه . ومضت الصحف تتسابق على نشر قصصه القصيرة .. ولكننا يمكننا أن نلحظ من خـــلال الجزء الثانى والثالث من كتابه « سمها خبرة » كيف بدأ كالدويل ينحرف عن الطريق الذى اختطه لنفسه .. وكيف كان يحاول مقاومة كل المغريات فى سبيل الهدف الذى وضعه أمامه .. فينجح تارة ويفشل تارة .. وقصة كالدويل مع هوليود ومع الصحافة ودور النشر التجارية وشركات الدعاية والاذاعة قصة ذات مغزى كبير .

وتبدأ قصة كالدويل مع هوليود عام ١٩٣٣ .. ففى أواخر مايو من ذلك العام وجد نفسه يعمل فى سيناريو أحد أفلام شركة متروجولدوين ماير .. كان وكيل أعماله ماكس ليبر قد أوجد له هذا العمل لتحسين ظروفه المالية عندما وجد أن كالدويل قد أنفق آخر دولار معه فى نيويورك فى أثناء نظر دعوى أقيمت ضد رواية « قطعة أرض الله الصغيرة » وجذبته هوليود بدولاراتها .. تعاقد مع شركة مترو لمدة ثلاثة أشهر بمرتب أسبوعى قدره ٢٥٠ دولارا . ولم يقتنع كالدويل بأن هذا مرتب أسبوع وليس مرتب شهر الا بعد أن استلم فعلا مرتب الأسبوع الثانى .

ولكنه تنبه الى هذا الخطر ، واتخذ قرارا بالعودة الى كتابة

الكتب دون أى تأخـــير مع بداية عام ١٩٣٤ ·· لقد شعر بالتعاسه وعدم الرضا لانقضاء العام السابق بعيدا عن الكتابة ·· صحيح انه سدد ديونه ، واشترى منزلا وسيارة جديدة ، وقام برحلات طويلة ، واقتصد مبلغا كافيا للعيش منه سنة أخرى ، ولكنه لم يستطع مع ذلك ان يؤلف كتابا لنشره فى عام ١٩٣٤ واتضح له أن كل هذه المكاسب المادية العاجلة التى حققها ضئيلة القيمة بالقياس الى المتعة الكبرى التى يشعر بها عندما يؤلف كتابا وينشره ·

شعر كالدويل بفشله فى تحقيق مشروعه ·· وهو أن يعيش من أجل الكتابة وسبب له ذلك حالة شـــديدة من التعاسة النفسية حتى انه شرع على الفور فى الكتابة مع الأسبوع الأول من يناير ·· وذهب الى نيويورك واستأجر حجرة فى بدروم بسبعة دولارات فى الأسبوع ، وبدأ يكتب قصصا قصيرة من الصباح المبكر حتى ساعة متأخرة من الليل ، ولكن الشتاء فى تلك السنة كان قارس البرودة فى نيويورك ، وقد شعر فى تلك الحجرة بالبرد كما لم يشعر به فى أى وقت مضى حتى فى مقاطعة مين · وبعد مناقشات غير مجدية مع صاحب البيت حول نقص التدفئة بالحجرة بدأ يستقل الأوتوبيس المجهز بوسائل التدفئة فى رحلات تستغرق أياما ·· كان يكتب بالنهار بالقلم الرصاص على الورق الصغير الحجم ـ وفى الليل كان يتوقف فى الفنادق ويكتب على آلته الكاتبة ·

وبعد ستة أسابيع ـ فى منتصف فبراير ـ انتهى من كتابة اثنتى عشرة قصة قصيرة ·· وكان بينها رواية قصيرة جدا أو قصة قصيرة طويلة هى «اسجد للشمس المشرقة» وهذه القصة تدور حول ظلم أحد الملاك الجنوبيين فى معاملة أحد مزارعيه البيض ·· ويقول كالدويل : انه كان يشعر بالرغبة فى كتابة هذه القصة منذ عدة أشهر ، ولكن كان لابد من الانتظار حتى يجد الوقت الكافى لمثل هذا العمل الطويل ·· وقد رفضت مجلات كثيرة هذه القصة لمدة سنة ثم نشرت فى مجلة سكربنر ، وأصبحت هذه القصة عنوانا لمجموعة قصصه القصيرة التى أصدرها فى العام التالى ·

ومن جديد اتصلت به شركة جولدوين ماير وطلبت منه أن

يعود الى كاليفورنيا للعمل فى قصص الأفلام باستديو كاليفر سيتى ، وكان في حاجة الى المال لمساعدة أسرته • وأغرته الشركة بمضاعفة أجره السابق ، وهكذا قرر أن يذهب لمدة ثلاثة شهور حتى تتحسن حالته المالية بعد أن عرضوا عليه ٥٠٠ دولار في الأسبوع ، ووصل الى لوس انجلوس فى نهاية مايو عام ١٩٣٤ •

أمضى كالدويل عدة أسابيع يقـــرأ مواد أفلام ويكتب ويراجع عددا من السيناريوهات ، ثم اقترح هارى بن الذى كان يعمل كاتب سيناريو منذ عدة سنوات أن يشتركا معا فى كتابة قصة مشتركة للاستديو •• وقد كتبا القصة فعلا ، ولكنها لم تظهر أبدا على الشاشة وانتهى عقده مع الشركة •

لكن علاقة كالدويل بالسينما لم تنته عند هذا الحد •• ففى بداية عام ١٩٤٢ اتصلت به شركة آخوان وارنر ونجحت فى اقناعه بالعمل فى سيناريو أحد أفلامها •• وكذلك اتصلت به شركة فوكس للقرن العشرين فى نهاية عام ١٩٤٢ وأقنعته بالتخلى عن برنامج محاضرات كان قد اتفق على القائها وعرضت عليه عرضا سخيا ــ ألفا وخمسمائة دولار فى الأسبوع ، ثم وقع عقدا مع شركة فوكس فى بداية عام ١٩٤٣ بمرتب ألف وسبعمائة وخمسين دولارا فى الأسبوع للسنة الأولى ، ثم ألفى دولار أسبوعيا فى السنة الثانية ، ولكن كالدويل طلب فى نهاية السنة الاولى انهاء العقد حتى يستطيع العودة الى كتابة الروايات •

وكما حدث شد وجذب بين كالدويل وهوليود •• حدث أيضا نفس الشيء بينه وبين الصحافة •• تعاقدت معه جريدة النيويورك بوست للعمل بها فى عام ١٩٣٥ وراح ينشر فيها سلسلة من المقالات عن الجنوب وعن مزارع المستأجرين فى جورجيا الشرقية •• وفى عام ١٩٣٧ طلب منه رئيس تحرير المجلة الأسبوعية المصورة « ميدويك بيكتوريال » أن يكتب فى كل عدد ولمدة سنة ، ولكن كالدويل وجد بعد أن كتب ست قصص قصيرة للمجلة أن تقديم قصة كل أسبوع شيء يفوق طاقته ، ويقول كالدويل : انه تخلى عن كتابة القصص وغيرها فى هذه المجلة ، لأنه شعر بأنه لا يريد أن يكرس كل وقته للصحافة •

وثمة أمور أخرى صرفت كالدويل عن كتـابة القصص والروايات مثل الرحلات والكتابة عن الرحلات فى الصحف أولا ، ثم جمع المقالات فى كتب ٠٠ ولم تقتصر رحلاته على أمريكا ، بل شعر بالحاجة أيضا الى القيام برحلات خارج أمريكا والكتابة عنها ٠٠ وقد قام بأول رحلة الى الخارج وعمره خمسة وثلاثون عاما حيث رحل الى تشيكوسلوفاكيا ، وكتب عن مشاهداته هناك كتابا مصورا باسم « شمال الدانوب » صدر عام ١٩٣٩ ٠٠ وفى عام ١٩٤١ كتب كتابا مصورا آخر عن أمريكا ٠٠ وكانت تشترك معه فى كل كتب رحلاته بالصور مارجريت بورك ـ هوايت التى تزوج منها عام ١٩٣٩ ، واقترحت عليه مارجريت أن يقوما معا بتأليف كتاب آخر صور وموضوعات عن روسيا فى هذه المرة ، وكان قد سبق لها السفر الى روسيا ٠٠ ولكنهما ما ان سافرا حتى قامت الحرب بين روسيا وألمانيا ٠٠ وهكذا وجد كالدويل نفسه يعمل مراسلا للصحف والاذاعة وغرق فى هذا العمل حتى أذنيه لمدة خمسة شهور وراحت الجرائد والمجلات فى أمريكا وانجلترا تطلب منه مقالات عن مظاهر الحياة والحرب فى روسيا ٠

وفى عام ١٩٤٠ وجد نفسه يشترك فى برامج اذاعية مهدها له الناشر سام سلون ، ولم يكن كالدويل يشعر بارتياح الى الاذاعة ولا الى القاء المحاضرات ٠ وعندما سأل الناشر لماذا حثه على الظهور فى برامج الاذاعة ، أوضح له أن من المرغوب فيه ، من وجهة نظر الناشر ، أن يشترك المؤلف فى مثل هذه المجلات لأن المقابلات فى الاذاعة والصحف أثبتت أنها جزء هام جدا فى برنامج الناشرين ٠

وكان كالدويل يعتبر كتابة السيناريو والاشتغال بالصحافة والاذاعة وكتابة كتب الرحلات أمرا ثانويا بالنسبة لهدفه الأساسى فى الحياة وهو كتابة القصص والروايات ٠٠ لذلك كان يعود دائما الى الكتابة القصصية برغبة حادة متجددة ٠٠ لم يكن يستطيع الامتناع عن الكتابة فترة طويلة بعد أن أصبحت بالنسبة اليه عادة مثل التدخين ٠

ومن خلال الآراء المنشورة فى كتابه « سمها خبرة » ثم من خلال الخاتمة التى كتبها فى آخر الكتاب يمكننا أن نتعرف

على كثير من آرائه فى كتابة القصة القصـــيرة والرواية فى الشكل والمضمون ٠

يقول كالدويل : أعتقد أن الكتابة الابداعية لا تتوافر الا اذا كان العقل فى حالة معينة ، واعتقادى انه لا يسـتطيع أن يزاول الكتابة الابداعية فعلا الا هؤلاء الذين ولدوا ولديهم الموهبة ، وأصبحت لديهم الرغبـــة اللامحدودة للتعبير عن أنفسهم فى كلمات مكتوبة ٠

وحالة العقل هذه ـ كما سميها ـ هى على الأغلب رغبة حادة لا يمكن السيطرة عليها تبحث عن الاشباع بأى ثمن ٠٠ انها اشتهاء لا يمكن انكاره ٠٠ انها عند بعض الناس تشبه الحاجة العاطفية الى البحث عن الحب والصداقة ، وتبلغ حدتها وضرورتها عند آخرين ضرورة الحاجة المادية للطعام والشراب ٠٠ ان حدة هذه الحالة العقلية تدفع الشخص قدما الى أى مدى يريد أن يصل اليه من أجل تحقيق هدفه فى الحياة سواء عن وعى أو عن غير وعى ٠

ودرجة حدة هذه الحالة العقلية هى مقياس النجاح والفشل ٠٠ ان كثيرا من الأشخاص يرحبون بمعاناة أية صعوبة بشرية من أجل أن يتعلموا كيف يكتبون كتـــابة ناجحة ، وهناك آخرون سرعان ما تثبط همتهم ، ويجـــدون أعذارا منطقية للتخلى عن الكتابة والتحول الى أى عمل آخر ٠٠ وكما يوجد هذان النوعان المتطرفان يوجد أيضا ، وبعدد أكثر ، أولئك الذين يتوقون الى أن يصبحوا كتابا ، لكنهم يفتقرون الى القدرة الضرورية للنجاح ٠

ولكن ما مفهوم كالدويل لطبيعة القصة القصيرة ؟ يقول كالدويل : هناك تعريفات كثيرة للقصة القصيرة ، وتعريفى للقصة القصـــيرة أو للرواية أنهــا حكاية متخيلة لها معنى ، ومشوقة بدرجة كافية لجذب انتباه القارىء ، وعميقة بدرجة كافية لأن تترك فى العقل أثرا لا ينمحى ٠

ويؤمن كالدويل بأن مضمون القصة أهم فى اعطاء التأثير الدائم فى الفن الروائى من الأسلوب الذى تكتب به القصة ٠٠ المضمون هو المادة الأساسية فى الفن الروائى ـ أمور الحياة

التى يتحدث عنها الناس ، أفكار الرجال والنساء فى كل مكان، ومطامحهم مشاكلة الحياة في الشخصيات الروائية التى لم توجد أبدا ، ولكنها مع ذلك نعطى القارىء الاحساس بأنها شخصيات واقعية ٠٠ وطبيعى أن كل الشخصيات الروائية تستمد الى حد بعيد من ذكريات أو ملاحظات المؤلف للناس الأحيــاء ، والا لما كانت الشخصيات فى الروايات تشـبه الكائنات البشرية أدنى شبه ٠٠ ويقول أنه حاول فى كتاباته أن يأخذ من الحياة مباشرة تلك الصفات التى يمكن أن تقدم بطريقة روائية السمات النموذجية لشخصيات القصة التى يريد أن يكتبها ، وانه نادرا ما خلق شـخصية روائية غير مركبة من عدد من الشخصيات ٠

ومع هذا لم يكن اهتمامه بالأسـلوب يقـل عن اهتمامه بالمضمون ٠٠ وارسكين كالدويل مثل معظم الكتاب الأمريكيين الذين مارسوا الصحافة ٠٠ أسلوبه مشرق بسيط ٠٠ وقد أجهد نفسه سنوات طويلة حتى توصل الى هذا الأسلوب ٠٠ وهو لا يستخدم كلمات طويلة اذا وجد هناك كلمات قصيرة قليلة المقاطع يمكن أن تحل محلها ، ويقول انه راجع قاموسه ذات مرة وحذف منه كل الكلمات التى تزيد عن أربعة مقاطع ، وبلغ من اهتمامه باللغة أنه كما قلنا كان يحتفظ فى منزله بثلاث نسخ من قاموس ويبستر فى وقت واحد ٠ ولم يكن يرجع الى القاموس من وقت لآخر فحسب ، ولكنه كان يقرؤه فى أوقات فراغه بدلا من قراءة المجلات والروايات ويقول : فى رأيى أنه لم يكتب شىء أكثر سحرا واثارة وتعليما وأكثر اشباعا من كتاب يحتوى على كلمات ومعـانيها ٠٠ وعندما سئل عن أهم الخطوات فى تعلم الكتابة قال : أولا تعلم معانى الكلمات واستعمالها ، ثانيا : تعلم كيفية تركيب جملة لنقل الفكرة المطلوبة ، والخطوة الثالثة والرابعة أن يكون لديك مايستحق القول قبل البدء فى الكتابة ثم اجادة استغلال القوة العاطفية للقصة بحيث نترك فى ذهن القـارىء أثرا لا ينمحى ٠

ويتميز أسلوب كالدويل الفنى بتكتيك الفكاهة الأمريكية التقليدية التى تعتمد على المبالغة ٠٠ وروح الفكاهة هذه تسود أهم أعماله حتى لقد قال عنه الناقد هنرى سيدل كانبى « ان

كالدويل فى هذه القصص النابضة بالاحتقار لعـــالم سيىء التنظيم بالرغم من امتلائه بالمجون والسذاجة المزيفة ، الوارث الروحى لمارك توين » •

ولكن القـــارىء سرعان مايلمس مأســاة الظلم الاجتماعى والفقر والتفرقة العنصرية خلف روح الفـــكاهة هــذه التى تشيع فى قصصه •• فمثلا فى قصته القصيرة « بيشام بائع الحلوى » •• نعيش مع بيشام ذلك الزنجى السعيد بحبه لاحدى الفتيات والذى راح يقطع عشرة أميال على قدميه ليصل اليها ، وكلما قابله أحد أخبره والفرحة تملأ نفسه أنه فى طريقه الى فتاته ، واذا بالشرطى الأبيض يقبض عليه بحجة أنه زنجى والليلة ليلة سبت وأن من المحتمل أن يثير الشغب فى المدينة •

على أن مما يعاب على ارسكين كالدويل فى بعض الأحوال المبالغة فى تصوير الصور القاتمة للحياة (مثل قصة اسجد للشمس المشرقة ــ وكتل من الرجال) وعندما قيل له : لقد كتبت كثيرا عن الفقراء •• لماذا لا تكتب عن الأشياء السارة فى الحياة ؟ فقال : ان أولئك الذين يستمتعون بهذه الأشياء البهيجة فى الحياة أقل من أولئك الذين يعانون من الأشياء غير السارة ، وعندما تختفى هذه الحالة الاجتماعية ســوف أشعر أنه ليس ثمــة داع للكتابة عن تأثير الفقر على الروح البشرية •

ولكن ماهدف كالدويل من الكتابة؟ يجيب على هذاالسؤال قائلا : لم يخطر لى أن أسأل نفسى عن الهدف من كتابة القصص القصيرة والروايات حتى قدم لى هذا السؤال للاجابة عليه مرات عــدة •• اننى أحب كتـــابة القصص كما يحب بعض الناس تربية الماشية أو لعب البيسبول أو ممارسة المحاماة ، ولما كنت لا أشعر بالسعادة فى القيام بأى عمل آخر ، لهذا رغبت فى أن أجعل الكتابة مهنتى •• وفى نفس الوقت أردت أن أنجح فى مجالى ، وأن أكسب عيشى ، تماما كما لو كانت أية مهنة أخرى يتكسب منها الناس عيشهم •• وعندما يوجه الى سؤال:لماذا أكتب القصص ؟ لا أملك الا أن أقول اننى أحب الكتابة ، وعندما يطلب منى تفسير أو شرح معنى قصة قصيرة أو رواية لا أملك الا أن أقول انها تعنى ما قالته للقارىء • لم

تكن لدى حقائق فلسفية أريد نشرها ولا رغبة تبشيرية لتغيير مجرى المصير البشرى ، وكل ما أردت أن أعمله هو ببساطة أن أصور قدر استطاعتى مطامح النـــاس الذين أكتب عنهم وآلامهم ·· واذا كان ثمة أية دروس فانهـا ينبغى أن تكون منبثقة من داخل هذه الصور التى تعرض الحياة ، وكل قارىء حر فى أن يفسرها تفسيره الخاص على حسب درجة وعيه ·· ان الهدف من كل القصص التى كتبتها هو أن أقدم مرآة ينظر فيها الشعب ، ومهما كان الخير أو الشر الذى تفعله كتبى فان هذا يتوقف على رد فعل القارىء بالنسبة للصورة التى يراها فى هذه المرآة ·

وكالدويل مازال يعيش حتى كتابة هذه السطور ومازال يكتب ، ولكن ـ كما رأينا ـ كثيرا ماشغلته فى المرحلة الأخيرة اهتمامات أخرى غير كتابة القصص والروايات التى كرس لها حياته ، وهو وان كان يعود الى كتابتها برغبة متجددة دائما ، لكننا نلحظ أن أعماله الأدبية فى الفترة الأخيرة قد فقدت الكثير من القوة والحيوية والتلقائية والواقعية الجريئة التى كانت تتميز بهـــا أعمـــاله الاولى ·· وقـد يكون مرد ذلك نابعا من ابتعاد كالدويل ـ نتيجة لثرائه وشهرته ـ عن الأرض والناس البسطاء وعن الحياة الكادحة البائسة التى لمسها فى أثناء حياته جنبا الى جنب مع الفقراء من البيض والزنوج فى الجنوب الأمريكى ·

سيد جاد



الولد الأزرق

بعد الغداء بساعتين كانوا لا يزالون يجلسون فى حجرة الجلوس المختنقة الهواء المرتفعة الحرارة .. وكانت غلالة كثيفة من الدخان تتصاعد فى طبقات من فوق المنضدة الى السقف ، ومن حول الكراسى كانت تحوم رائحة العرق الجاف والعطر الراكد ، وكان غداء يوم عيد رأس السنة الجديدة المكون من الديوك الرومى والخنازير قد أصاب السيدات بالتعب وبدا الخمول فى أعينهن ، واسترخى الرجال على كراسيهم : أرجلهم ممدودة ورءوسهم ملقاة الى الخلف ، وبدت بطونهم المنتفخة كما لو كان حول كل منها مائة قدم من السجق المحشو الذى تم التهامه .

اعتدل جرادى والترز فى جلسته ، وحك وجهه الذى يكاد يتفجر منه الدم ، ونظر الى ضيوفه . وبعد لحظة قام وذهب ناحية الباب ونادى على أحد خدمه الزنوج . وأرسل الخادم لاستدعاء الولد الأزرق .

وبعد أن أحكم جرادى اغلاق الباب ، عاد الى كرسيه ، وهو ينظر من خلال غلالة الدخان الأزرق الى الرجال والنساء الذين خيم عليهم النعاس . لقد مضى أكثر من ساعة دون أن يعاود أحد الرغبة فى قول أى شىء .

وتساءل روب هوارد ، وهو يحك عينيه أولا ثم بطنه بعد ذلك : « أى ساعة من النهار نحن الآن يا جرادى ؟ »

ــ أمامنا وقت للاستمتاع بشىء من التسلية .

ودخل الولد الأزرق من الباب الخلفى وتسلل من الصالة الى الحجرة التى كانوا يجلسون بها . وجرجر قدميه بالعرض فوق أرضية الغرفة محدثا صوتا يشبه صوت الفاصوليا عند ما تنصب فى برميل خشبى .

وقال جرادى : « كنا ننتظرك هنا طوال فترة بعد الظهر لتجىء وتعرض على الموجودين بعض حركاتك المسلية ، أيها الولد الأزرق ، جميع ضيوفى متشوقين للضحك .. أعتقد أنك تستطيع أن تجعل جنوبهم تهتز من الضحك أيها الولد الأزرق . »

وكشر الولد الأزرق فى وجه الرجال والسيدات الذين يملئون الحجرة . ودفع يديه فى جيوب عفريته وأصدر من حلقه نوعا من الأصوات الغامضة .

وسأل روب هوارد جرادى عما يستطيع الولد الأزرق أن يقوم به . واعتدلت عدة نساء فى جلستهن وأخذن يضعن البودرة على مسام بشرتهن .

وزاد الولد الأزرق من تكشيرته ـ وهو يمد رقبته فى شبه دائرة ٠

وقال جرادى : « أيها الولد الأزرق ، أعرض على السـادة البيض كيف أمسكت الخنزير فى ذلك اليوم ورحت تعضه حتى الموت ٠ هيا ، ياولد يا أزرق ! دعنا نرى كيف قمت بعض الخنزير بأسنانك حتى الموت » ٠

وتحركت شفتا الولد عدة لحظات كحركة الجفنين حينما يرتجفان واندفع نحو الباب ، فأمسك جرادى به ودفعه من كتفه ثانية الى منتصف الحجرة ٠

وصاح جرادى فى الولد: « حسن أيها الولد الأزرق، افعل ما أمرتك به ٠٠ أعرض على السادة البيض كيف عضضت ذلك الخنزير حتى الموت ٠»

أصدر الولد الأزرق من حنجرته أصواتا أكثر عمقا ٠ وبدا ما قاله أكثر غموضا ، ولم يسـتطع أحد غير جرادى أن يفهم ما كان يحـاول أن يقوله ٠

وأجابه جرادى : « لا يهم ألا يكون لديك خنزير هنا لتقتله ٠٠هيا « وفرج » الناس البيض كيف قتلت لى أحد الخنازير فى ذلك اليوم٠

وسقط الولد الازرق على يديه وركبتيه ، مصدرا أصواتا بدت كما لو أنها محاولة احتجاج ٠٠ ولكزه جرادى بقدمه ، يحثه على ما أمره به ٠

وفجأة بدأ الولد الزنجى يزوم ويعض ، ويتصرف كما لو أنه قد تحول هو نفسه الى خنزير يعض ويزوم ٠٠ واندفع فى الهواء ، وأحاط ذراعيه بخنزير صغير وهمى ، وراح يمزق عنقه بأسـنانه البيضـاء الحادة ، واقترب منـه آل هوارد وآل هانافورد محاولين رؤية الأبله وهو يقوم بأفعال مجنون متعطش لسفك الدماء ٠

وعلى الأرض ، وكان وجه الولد الأزرق ملتويا ومتورما ٠٠ وكانت عيناه تلمعان ، وفمه يسيل منه اللعاب ٠٠ كان يعمل كل مافى وسعه لارضاء جرادى والترز ٠

عندما انتهى ، عاد آل هوارد وآل هانافورد الى جلستهم المسترخية يروحون وجوههم ويمسحون ظهور أيديهم بمناديلهم ٠٠ حتى جرادى أخذ يروح وجهه الملتمع عندما توقف الولد الأزرق وتدحرج منهوكا على أرض الحجرة ٠

وسألت أصغر سيدات آل هانافورد : « ما الذى يمكن أن يعمله غير ذلك يا جرادى ؟ »

أجاب جرادي : « أي شيء أطلبه منه ، لقد استطعت أن أدرب الولد الأزرق ٠٠ انه يقوم بعمل أي شيء أطلبه منه ٠ »

ونظروا الى الارض حيث الزنجي الصغير ، النحيف ، الأزرق البشرة الذي يبلغ من العمر سبعة عشر عاما ٠٠ كانت ملابسه ممزقة ، وكان شعره المجعد الكثيف من الطول بحيث بدا كشعر امرأة ٠٠ وفيما عدا الحجم ، كان يبدو هو نفسه كما لو أنه لم يتغير منذ اليوم الذي أحضره فيه جرادي من كوخ أحد الزارعين الى البيت الكبير منذ اثنى عشر عاما ٠٠ ولم يصبح الولد الأزرق عنيفا يوما ما ، كان يطيع كل كلمة ينطقهـــا جرادي ، وقد علمه جرادي القيام بألعابه كما لو كان يعلم كلبا صغيرا الانقلاب على ظهره عندما يؤمر بذلك ٠٠ كان الولد الأزرق يطيع دائما ، ولكنه في بعض الأحيان لم يكن سريعا في استجابته بالدرجة التي ترضي جرادي ، وعندئذ يندفع جرادي نحوه بالحزام الجلدي المعلق على مسمار في المدخل الخلفي ٠

عاد آل هوارد وآل هانافورد الى جلستهم ــ لكن الولد الأزرق ظل راقدا على الأرض ٠٠ لم يطلب منه جرادي أن ينهض ٠

وتساءل روب هوارد : « ما الذي أصابه يا جرادي ؟ »

أجاب جرادي ، وهو يضحك ضحكة قصيرة : « لأنه لايملك ذرة من العقـــل ٠ أرأيت كيف تنفرج شفتاه طول الوقت ؟ ان العجـــل يولد متمتعا بعقل أكثر مما يتمتع به هو الآن ٠ »

ــ « لماذا لم ترسله اذن الى مستشفى الأمراض العقلية »

قال جرادي : « لماذا ؟ انه أكثر تسلية من مجموعة قرود ٠٠ وأظن أنه يستحق الاحتفاظ به لمجرد هذا الغرض ٠٠ لو أدخلته مستشفى الأمراض العقلية ، لافتقدت الأوقات السارة التي أقضيها معه ٠٠ انني لا أتخلى عن الولد الأزرق ولو في مقابل مائة دولار ٠ »

وسأل هنري هانافورد : « ما الذي يستطيع أن يفعله غير ذلك ؟ »

أجاب جرادي : « سوف أريك ٠ هيا ، أيها الولد الأزرق ، انهض وقم بعرض رقصة القرد على السادة البيض ٠٠ دعهم يرون ما تستطيع أن تفعله بقدميك » ٠

نهض الولد الأزرق عن الأرض ، وانتصب واقفا دافعا نفسه بيديه

وقدميه ووقف مقطبا لحظة فى وجه الرجال والنســـاء الملتفين فى حلقة حوله ٠

وقال جرادى للولد الأزرق وهو يشير الى قدميه : « هيا ، أيها الولد الأزرق ، هز قدميك من أجل السادة البيض ٠ قم برقصة القرد أيها الولد الأزرق ٠ »

وبدأ الولد يحرك حذاءه على أرض الغرفة فى تثاقل حتى لا يكاد يرفعه من فوق السطح ٠٠ وأخذ جرادى يدق الأرض بقدميه ، وهــو يحركهما أسرع فأسرع طوال الوقت ٠٠ وكان الولد الأزرق يراقبه ، وبعد لحظة بدأت قدماه تسرعان ، وظل هكذا حتى بدأت أنفاسه من شدة السرعة فى الرقص تنقطع ٠٠ وكانت عيناه تنتفخان ، وبدا كما لو أن جفنيه سيجحظان خارج رأسه فى أية لحظة ، وزادت شرايين رقبته انتفاخا واستدارة ٠

قال هنرى هانافورد : « هذا الزنجى يقوم برقصة القرد أفضل من أى زنجى رأيته » ٠

وسقط الولد الأزرق متكوما على أرض الحجرة ، وشرايين عنقـــه تنتفخ وتتورم حتى غطت بعض النساء الموجودات بالحجرة وجوهن كى لا تقع أنظارهن عليه ٠

لم يستغرق الولد الأزرق وقتا طويلا لاستعادة أنفاسه ، ولكنه ظل راقدا على الأرض ٠٠ وأخذ جرادى يراقبه حتى شعر أنه استعاد قواه بدرجة كافية للنهوض ثانية ٠

وسأل روب هوارد : « ما الذى يستطيع أن يعمله زنجيك المدرب غير ذلك ، يا جرادى ؟ يبدو أنك علمته قدرا كبيرا من الألعاب خلال العشرة أو الاثنى عشر عاما ٠ »

قال جرادى ؟ « اذا لم يكن الوقت قد تأخر اليوم ، كنت طلبت منه أن يفعل كل ما يعرفه ٠٠ وعلى أية حال ، سوف أجعله يقوم بذلك مرة أخرى ٠

لم يكن الولد الأزرق قد تحرك من الأرض ٠

وقال جرادى : « انهض أيها الولد الأزرق ٠ انهض على قدميك »

ونهض الولد الأزرق مكشرا ٠٠ ودارت رأسه مرة أخرى فوق عنقه

المطاطي ، وامتدت في شبه دائرة حول الغرفة ، وكشر في الوجوه البيضاء التي تحيط به ٠

وقال له جرادى : « انزع هذه الرقبة السوداء وحركها حتى تهترىء ، انزعها أيها الولد الأزرق ، واعرض على السادة البيض ما تستطيع أن تفعله » ٠

وكشر الولد الأزرق ، ومد عنقه المطاطية حتى بدت كما لو أنها ستنفصل عن جسده ٠

وتساءل روب هوارد : « ما الذى سيعمله الآن يا جرادى ؟ آ ٠

أجاب جرادى : « فقط انتظر وأنت ترى يا روب ٠ حسن ، ان الولد الأزرق يعمل كما طلبت منه ٠ حرك هذه الرقبة ٠ »

وضــــحكت أصغر سيدات ال هانافورد ٠٠ فالتفت اليها الولد الأزرق وحملق فيها بعينيه المنتفختين البيضاوين وانفجرت شفتاه حتي لكزه جرادى ٠

وقال جرادى : « أظن أنكم تعرفون الأن أيها السادة لماذا لم أرسله الى مستشفى الأمراض العقلية ٠٠ اننى أستمتع بقدر من التسلية من الولد الأزرق أكثر منأى شيء آخر يخطر على بالكم ٠٠ انه لا يستطيع أن يزرع القطن ، أو يجمعه ، وليس لديه العقل الكافى لقطع قطعة من الخشب للوقود ، ولكنه يعوض هذا كله بتعلمه القيام بالألعاب التى أدربه عليها ٠

ومرة أخرى بدأت عينا الولد الأزرق تبرزان من تجويف جمجمته ، وأخذت شرايين رقبته تنتفخ وتتورم ، وسقط على ركبتيه ، واذا برقبته التى كانت مطاطية من قبل تصبح صلبة مثل رجل منضدة ، وتخشبت خطوط التكشيرة على وجهه وبدت كآثار جروح متجمدة ٠

أما آل هوارد وآل هانافورد ، الذين كانوا قد حضروا من خمسة بلاد لتناول الغداء المكون من ديك رومى وخنزير بمناسبة السنة الجديدة ، فانهم شهقوا وزفروا لمرأى الولد الأزرق ٠٠ فقد راحت قواه تخور مثلما يحترق عود جاف من التبغ ٠ ثم سقط من فوق ركبتيه ٠

وبينما انضـــغط وجهه فى أرض الحجرة بدأت تجاويف خدوده ترتخى وملامحه المنقبضة تلمع فى العرق الذى جف على وجهه ، وأصبح تنفسه غير مسموع ، وبدت شرايينه المنتفخة فى رقبته متصلبة مثل حبل مشدود من الطرفين ٠



بيشام بائع الحلوى

كان المكان يبعد عن مستنقعات أوجيشى عشرة أميال ، ولكنها كانت فى نظر بائع الحلوى مجرد خطوة واحدة كبيرة .. وكان الطريق الذى قطعه فوق أخاديد جورجيا يبدو على مدى البصر .

ـ الى أين يا بائع الحلوى ؟

ـ أفسح الطريق يا ولد ، أنا فى طريقى لزيارة فتاتى . انها تقف الآن فى انتظارى على أحر من الجمر .

وهرعت الأرانب الى كتل الخشب المجوفة حيث لا تستطيع تلك الأقدام العريضة الساحقة أن تقترب منها .

قال بو الصغير : لا تدس على طرف أحد من البيض يا بائع الحلوى ، لأن البيض لهم السيادة .

أطاح بيشام بائع الحلوى باحدى رجليه فوق سور السكة الحديدية كما لو كان يمتطى حصانا ، ووقف دقيقة ورجلاه على جانبى السور ، ناظرا الى الصبى الأسود . كانت الدنيا تظلم عند المستنقعات ، وكان عليه أن يقطع عشرة أميال .

قال بائع الحلوى للولد : أنا والناس البيض لا يختلط بعضنا ببعض ، وذلك يحدث بمجرد ما أنتهى من العمل لديهم ، اننى أرعى بغالهم ، وأقوم بدفع أخشاب السرو فى المياه لهم ، ولكن عند ما ينقضى النهار ، أذهب بعيدا حيث لايوجد أناس بيض .

وراحت البوم تنعق على الأشجار .. كانت هذه الطيور الناعقة سعيدة بغروب الشمس .

وهرش الصبى الأسود الواقف فى حظيرة البغال رأسه وراقب الشمس وهى تغرب .. لو لم يكن عليه أن يطعم كل هذه البغال ، ولو كان فى جيبه قطعة صغيرة بقرشين لذهب مع بائع الحلوى .. انها ليلة السبت ، وسوف يكون هناك فى المدينة الليلة برميل كامل من سمك القرموط المقلى ، وتمنى لو حصل على شىء من هذا السمك اللذيذ الرائحة .

وقال بو الصغير : سأحصل على فتاة قبل أن يمر وقت طويل .

ـ تأكد فقط أنها ليست فتاة بائع الحلوى أيها الولد ، وأنا أمد لك يد المساعدة .

وأطاح برجله الأخرى من فوق سور السكة الحديدية وراح يصعد الطريق ٠٠ عشرة أميال من المستنقعات الى قمة التل وتنتهى رحلته ٠٠ كانت الشجيرات والأعشاب الكثيفة تلسع رجليه حيثما وقعتا ٠٠ لم يكن فى مقدوره أن يصبر على المضى فى الطريق الممهد الخالى من الأعشاب ٠

وهكذا راح بيشام بائع الحلوى يشق طريقه مصعدا وسط الغابة ، ثم مضى عبر الأرض السهلية المنبسطة قاطعا فى كل خطوة ثلاثة صفوف من القمح ٠

كان هناك بعض الأطفال الزنوج يتسكعون فى الطريق ٠ ولحق بهم قبل أن يجدوا وقتا للفت رءوسهم نحوه ٠٠

وصاح : افسحوا الطريق أيها الأولاد لهاتين القدمين الساحقتين٠٠ هأنذا قادم ٠

ـ الى أين يا بائع الحلوى ؟

وكان عليهم أن يجروا كثيرا ليستطيعوا اللحاق به ٠٠ كان عليهم أن يسرعوا لملاحقة هاتين الساقين الطويلتين حتى لهثت أنفاسهم ٠

وقال بائع الحلوى : سألنى أحدكم عن المكان الذى سأذهب اليه ٠٠ لقد حصلت على فتاة صينية وأنا فى طريقى اليها الآن لأوليها شيئا من الاهتمام ٠

ـ من الأفضل أن تطلق نفيرك قبل أن تفتح بابها يا بائع الحلوى٠ فالبنات الصينيات لا يملن الى المفاجأة ٠

ـ أنت على حق أيها الولد ، غير أنك لا تعرف ما تتكلم عنه ٠٠ ان فتاة بائع الحلوى تنتظره دائما على الباب ٠

وتخلت عنه الصبية ، وتوقفوا عن اللهاث ٠٠ لم يكن هناك من يستطيع ملاحقة راعى البغال ، الذى يبلغ طوله سبعة أقدام ، وهو يمضى فى طريقه ليلة السبت ٠

كان الطريق العام فى نظر بائع الحلوى يبدو متعرجا ٠٠ فانطلق يمشى عبر الحقول مباشرة ، فى خط مستقيم كما لو كان متجها الى طبق ملىء بسمك القرموط المقلى ٠٠ وطالعته أضواء المدينة كسرب من الفراشات ثمانية أميال الى المدينة ثم ميلين آخرين ويطرق باب تلك الفتاة الصينية ـ

وعاد بائع الحلوى الى الطريق العام عندما استقام الطريق ، وراح يخطو نحو المدينة .. الكبار على ظهور دوابهم ، والشبان يمشون ، وأفسح الجميع طريقا لتلك الأقدام العريضة السريعة .

ــ ما كل هذه العجلة يا بائع الحلوى ؟

ــ خذوا حذركم حتى لا يعمى غبارى عيونكم أيها الزنوج .. أنا ماض فى طريقى .

ــ الى أين يابائع الحلوى ؟

ــ حصلت على فتاة وهى تنتظرنى الآن عند بابها .. انها لا تحب أن تنتظر طويلا .

ــ الأفضل أن تبطىء حتى يبرد كعباك يا بائع الحلوى لانك ذاهب الى مدينة البيض وهم لا يحبون أن يطأ الزنوج مدينتهم .

ــ عندما تغرب الشمس ــ أكون على حريتى ، لا يمكننى الوقوف لأرى لون الناس .

وحث الرجال المسنون بغالهم على السير .. والبغال تخب فى سيرها .. لم يأنسوا الى الطريقة التى تكلم بها ذلك المهر الكبير .

وتوسل اليه بعض الصبية : هل تأخذنى معك يا بائع الحلوى ؟ أود أن أمسك كتكوتا من خن الدجاج .

ــ حينما أذهب الى أى مكان أصبح أنا الديك ، أنشب شوكتى فى جميع الريش الغريب . ابتعد أيها الولد الأسود ، ابتعد .

ومضى منحدرا فى الشارع ، ملتزما وسط الطريق .. لم يكن رصيفا الشارع يستطيعان ملاحقته وهو فى هذه السرعة .. طبق ملىء بالسمك المقلى ، ثم يمضى فى طريقه .

كانت تلك الفتاة الصينية فى انتظاره وليس هناك وقت يضيعه، لقد قطع ثمانية أميال ولم يتبق سوى ميلين فقط .

وساقته رائحة السمك الى باب مطعم السمك مباشرة .. وربما كان السمك بوريا لكن رائحته هو أيضا شهية .

ووضع يده على باب المطعم .. عندما ينتهى من تناول عشائه .

سيمضى فى طريقه ·· ان فى مقدوره أن يرى تلك الفتاة الصينية تنتظره على بعد ميلين فقط ·

كان جميع أولئك الأولاد يجلسون لتناول طعامهم·· والقاعة غاصة بأناس جياع مثله تماما ·· وكان الموقد مليئا بالسـمك المقلى ، ولم يستهلك من البرميل سوى نصفه ·· كان هناك غذاء جيد يكفى مائة رجل جائع ·

ان يده ما زالت على باب مطعم السمك ، وأنفه يتشمم المكان ·· لو استطاع أن يشق طريقه ، فانه سيشترى يوما ما برميلا كاملا من سمك الثعابين ويأكله حتى آخر سمكة ··

ـ ما هذه العجلة يا بائع الحلوى ؟

ـ ليس أمامى وقت أضيعه أيهـا الشـاويش الابيض ·· ودعنى فقط أمضى فى طريقى ·

وفتح رجل الشرطة الليـلى الآساور الحـديدية واقترب من ذراعى بائع الحلوى ·· وخطا بائع الحلوى مبتعدا ·

ـ اعتقد أن من الافضل سجنك ·· ان هذا يوفر كثيرا من المتاعب ·· لقد تعبت من مطاردة الزنوج المشاجرين فى أنحاء المدينة كل ليلة سبت ·

ـ « أنا لم أؤذ أحدا طوال حياتى أيها الشاويش الأبيض، وأنا متيقن أننى لا أثير مشاجرات ·· لابد أنك أخطأت الزنجى أيهـا الشاويش الأبيض ·· مؤكد أنك أخطأتنى ·· اننى مجرد عابر فى طريقى الى فتاتى »

ـ أعتقد مع ذلك أن من الأسلم أن أسجنك حتى صباح الاثنين ·· مد يديك الى هذه الأساور الحديدية أيها الزنجى ·

لكن بائع الحلوى خطا مبتعدا ·· ان فتاته الصينية تملأ رأسه ·· حتى السجن لا يستطيع أن يحول دون رغبته فى رؤيتها ، وتقدم مبتعدا بضع خطوات ·

ـ سأقتلك بالرصاص أيها الزنجى ·· سأطلق الرصاص اذا تقدمت خطوة أخرى ·

ـ أيها الشاويش الأبيض ·· ان كل ما أرجوه أن تخلى سبيلى ··

اننى لن أتوقف حتى لتناول عشائى وسوف أبعد رجلى عن المدينة ٠ لقد أردت فقط أن أرى فتاتى قبل أن تبزغ شمس يوم الاثنين ٠

وخطا بائع الحلوى مبتعدا ٠٠ وألقى رجل الشرطة الأساور الحديدية، ورفع بندقيته وصـــــوبها نحو بائع الحلوى ٠٠ وركع بائع الحلوى على الأرض ٠

ـ ليس هناك داع لذلك أيها الشاويش الأبيض ٠٠ اننى مجرد زنجى أسود مشقوق القدمين ٠٠ أفضل كثيرا أن أرحل على أن أظل هنا ٠

وهرع اليه الناس ، ولكن بعضهم اســـتداروا وذهبوا فى الطريق الآخر ، ووقف بعضهم ينظرون الى بائع الحلوى وهو يتحسس رجليه ليرى ما اذا كانتا تستطيعان حمله ٠٠ كان لا يزال أمامه ميلان حتى يصل الى قمة التل ٠

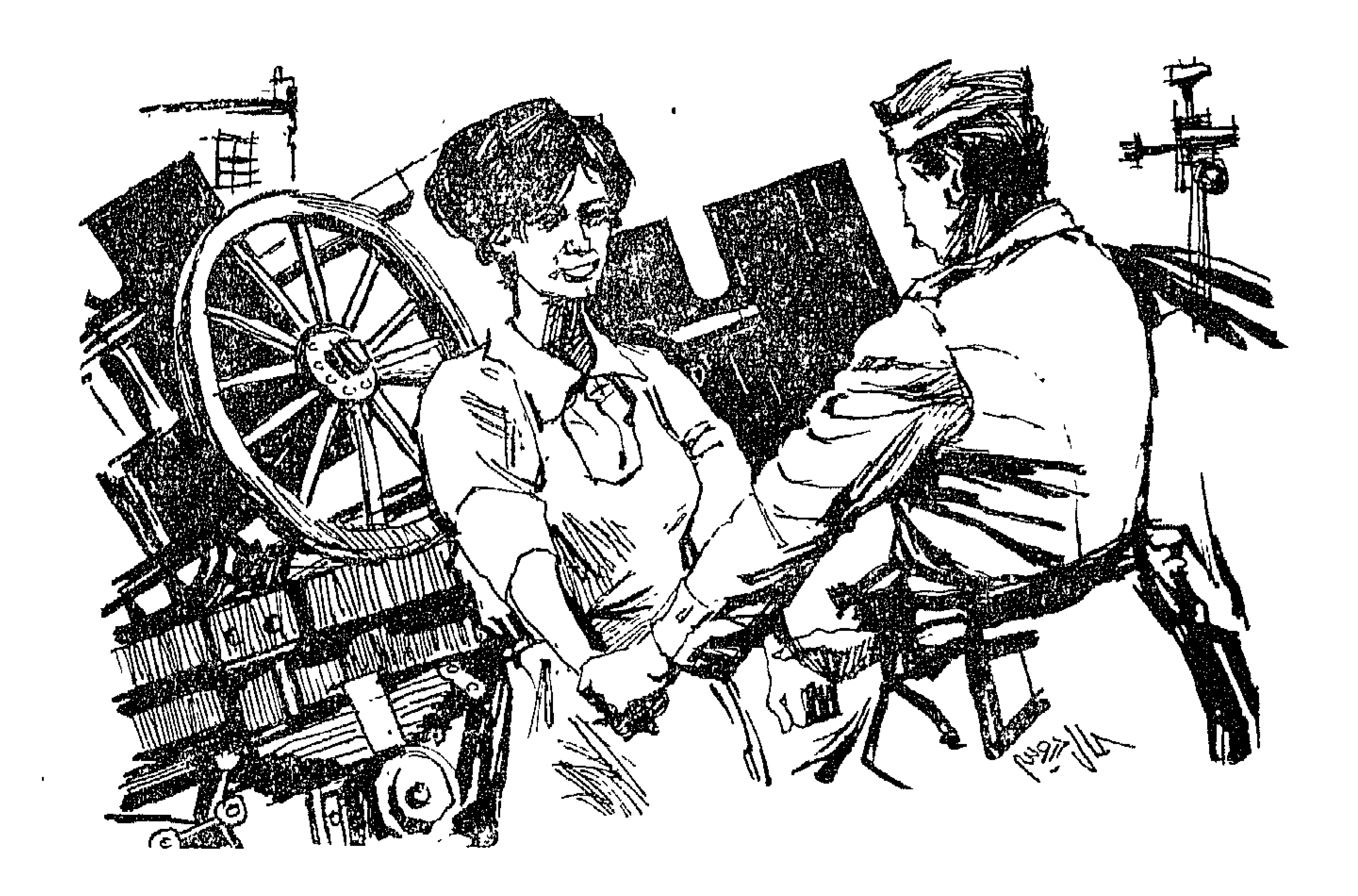
وتزاحم الناس من حوله ، وضع الشرطى الليلى بندقيته جانبـا ، وحاول بائع الحلوى النهوض حتى ينحدر فى الطريق ٠٠ ان الفتاة الصينية تنتظره عند الباب على أحر من الجمر ٠

ـ آسف أيها الشرطى الأبيض لأنك ستضطر الى قتلى بالرصاص ٠٠ اننى لم أضايق أحدا من البيض قط ، وينبغى عليهم ألا يضايقونى ، ولكن لا فائدة من الحياة اذا كانت تسير على النحو الحالى ٠٠ أعتقد أنه ليس على سوى أن أنطفىء وأتلاشى ، فقد أعطنى الكفن لأغطى به جلدى وعظامى ٠

فقال الشرطى الأبيض : اخرس أيها الزنجى ٠٠ اذا مضيت فى الكلام بهذه الطريقة سأرفع عليك بندقيتى مرة أخرى وأعجل بمصيرك ٠

وتراجع الناس بعيدا عنهمـــا ووضع الشرطى الليلى يده على زناد بندقيته حتى يكون مستعدا اذا لزم الأمر ٠

ـ اذا كان الأمر كذلك ، اذن أفسح الطريق لبيشام بائع الحلوى لأنى هأنذا قادم ٠



كتل من الرجال

كان هيو ميللر يعمل فى شركة الترام ·· وقد حصل هيو على زرار فضى وزرار ذهبى وسلسلة ساعة جيب برونزية على شـــكل تروللى ، وقرص صفيح صغير كادت تنمحى النمرة ٧ من وجهه ·

ظل هيو يعمل فى الشركة مدة ستة وعشرين عاما فى اصلاح الخطوط وقد أخبرته الشركة ذات مرة أنه سوف يتقاعد يوما ما بمعاش محترم ·

كان هيو لا يزال بعد كل هذه السنوات يحاول أن يشق طريقه فى العالم ·· كان لا يزال يأمل فى أن يصبح ملاحظا للانشاءات ، لكن لسبب ما ظل دون أن يبلغ هذا المركز أبدا · ظل يصلح القضبان ـ يعدل مقصات التحويلة ، ويرفع القضبان ليضع الفلانكات ·

وبالرغم من أن هناك رجالا آخرين تقدموا الى الأمام عندما حان الوقت لشغل الأماكن الخالية ، ظل هيو فى مكانه عاملا ، يصلح القضبان عاما بعد عام ، آملا أن يجعلوه ملاحظ انشاءات قبل أن يتقدم فى العمر ويعجز عن العمل ·

وكان يقول لنفسه « سوف أحصل عليها مع ذلك · سأحصل عليها بالتأكيد · ان عليهم أن يرقونى يوما ما ، ولقد اشتغلت الزمن الـــكافى لأحصل على هذه الترقية سأحصل عليها بالتأكيد ·

كان هيو قد أجل زواجه من كورا حتى تتم ترقيته ـ وأخبرته كورا أنها لن يضايقها أن تنتظر مزيدا من الأيام ، لأنها كانت تعمل هي نفسها فى أحد المحال بالمدينة وتكسب من النقود مثلما يكسب هيو نفسه ، ولكن بعد السنة الثانية عشرة ، قرر هيو أنه اذا كان فى نيته أن يتزوج ، ينبغى عليه أن يفعل ذلك دون أى تأخير ·· انه يتقدم فى السن ·· وبالرغم من أن كورا لا تزال شابة فى مظهرها كما كانت منذ الخطبة ، الا أنها بدأت تشكو من الساعات الطويلة التى تقفها على قدميها خلف آلة حساب النقود فى محل الخردوات ·

وقال لها هيو فى ليلة سبت فى أثناء ركوبهما أتوبيس الشركة من طرف المدينـــة الى البيت : « ليس هنـــاك معنى للانتظار أكثر من هذا ـ اذا كنت مستعدة ، يمكننا أن نتزوج فى الأسبوع القادم ·· لقــد فكرت فى الأمر طويلا ـ ليس هناك داع للانتظار حتى أنال الترقية » ·

قالت له وهى تتشبث بذراعه داخل العربة المزدحمة : « أود هذا يا هيو ·· أعتقد أن من السخف أن نؤجل الزواج أكثر من ذلك ·· كنته

آمل أن يحدث هذا منذ زمن طويل ٠٠ ينبغى ألا ننتظر حتى تحصل على ترقيتك ٠٠ من الأفضل أن تأتى ترقيتك ونحن متزوجان ٠

وهبطا من العربة على رصيف المحطة وسارا نحو البيت فى بطء ٠٠ كانا يعيشان فى منازل مفروشة ، ولم يكن هناك داع للعجلة ، فقد كانت ليلة سبت ٠

كانت هذه هى البداية ٠ سارا فى بطء فى الشارع المظلم يتحدثان عن الأسبوع القادم ، وظل هيو يقول لنفسه انه سوف يحصل على الترقية بالتأكيد فى المرة القادمة التى تملأ فيها الشركة الدرجات الشاغرة ٠٠ كان على يقين من هذا ٠٠ لقد أخبر كورا بذلك وصدقته ٠

وبعد أن تزوجا ، استأجر هيو منزلا مكونا من خمس غرف على مقربة من جراج العربات ٠٠ كان البيت فى طرف الحارة لا يبعد سوى خطوات عن الشارع الذى تحف به الأشجار والذى يسير فيه التروللى طول النهار ومعظم الليل ٠٠ كان منزلا ملائما ، من ناحية النقود ، كما أنه كان مريحا، ولم يكن يهم كثيرا على أية حال أن يكون باب المنزل من داخل الحارة ٠٠ لم يكن يهمها هذا ٠ كان المنزل يقع على الناصية تقريبا ، وكانت نوافذ الدور العلوى تطل على الشارع الذى تحفه الأشجار ٠٠ كانا يستطيعان بمجرد خروجهما من عتبة الباب والمشى بضع خطوات ، أن يجدا نفسيهما فى الشارع ٠٠ لم يكن مكانا سيئا ، وقد أحبت كورا هذا المكان ٠

فى البداية أنجبا طفلة ، أطلقا عليها اسم بيرل ٠٠ بعد ذلك أنجبا ولدا ، جون ، وبعد عام آخر كانت هناك بنت أخرى ، أطلقا عليها اسم روبى ٠

ظل هيو يتطلع الى اليوم الذى يصبح فيه ملاحظ انشاءات شركة الترام ، ولكن بعد أن خلف روبى ، لم يعد يفكر فى هذا الموضوع ٠٠ استطاع بطريقة ما أن يتخلص من عادة التفكير فى هذا الأمر ، وتوقفت كورا عن العمل فى محل الخردوات بطرف المدينة ، استقرت فى المنزل ترعى شئون البيت والأطفال ، وبدأت تتساءل عما تستطيع أن تفعله لبشرتها حتى تحول دون ازدياد سمرتها وجفافها، وفى الوقت نفسه كانت تخفى وجهها عندما يحضر الناس لسبب ما الى باب البيت ٠٠ كانت تعرف أنه ليس هناك ضرر ما بالنسبة لبشرتها ، انها فقط تزداد قتامة كل يوم، لكنها كانت تتمنى أن تعرف كيف تعالج هذا الأمر ، وكان شعرها قد بدأ يغزوه خيط عريض من اللون الرمادى ٠

لم تشر الى هذا أبدا أمام هيو ، لكن هيو لم يعد يتكلم بعد ذلك على أية حال • عندما عاد من عمله ، تناول عشاءه وذهب الى فراشه ، ولم تجد فرصـــة لتقول لهـو أمرا كهـذا •• كـــان من التعب بحيث لا يستطيع أن يستمع اليها •

عندما كانت بيرل الفتاة الكبرى ، فى التاسعة ، صدمت هيو سيارة ذات يوم وهو يرفع القضيب الحديدى ليضـع فلانكة جديدة مكان أخرى بالية ، ومرت فوقه السيارة وصرعته ، وأرسلت الشركة جثته الى منزله فى ذلك المساء ، عندما انتهى بقية العمال من ورديتهم فى الساعة الخامسة، ولم تعرف كورا ماذا تفعل•• بعد أن اطمأنت الى نوم الاطفال فى فراشهم، خرجت وسارت فى الشارع حتى قابلت أحد الشرطة • وأخبرته عما حدث لهيو ، فقال انه سيعمل على نقل الجثة صباح اليوم التالى مبكرا • وعادت الى البيت ونظرت الى هيو ، ولكنها لم تلحظ أى تغيير عليه ، كان هيو ، وهو فى البيت ينام دائما •

كانت كورا تعرف أن هناك مبلغا ما من النقود ســـوف يأتى من الشركة •• كانت متأكدة أنه سوف يكون هناك شىء ما ، ولـكنها كانت تخشى ألا يكون مبلغا كافيا للعيش عليه حتى تستطيع أن تجد عملا ما •• وعندما فكرت فى الأمر طويلا ، خشيت ألا يكون هناك حتى ما يكفى لسد نفقات جنازة هيو ودفنه •

وأجرى رجل الشرطة اللازم نحو نقل الجثة فى صباح اليوم التالى، وتم دفنها فى مكان ما ، ولم تعرف كورا المكان ، ولكنها كانت تعرف أنه ليس فى وسعها أن تعمل شيئا آخر ، كان الأولاد فى حاجة الى طعام ، وكان لابد لهم من أن يجدوا شيئا من الوقود فى المنزل •

ومضى شهر وهى تنتظر أن تأتى النقود من شركة الترام ، ولم تصل النقود •• ذهبت بعد ذلك الى المكتب وسألت عنها •• لم يكن هناك أحد يبدو عليه أنه يعرف شيئا عن الموضـــوع •• ليس هناك أحد فى المبنى الحجرى الكبير سبق له أن سمع عن هيو ميللر ، وعندما بحثوا عن الاسم فى سجلاتهم ، لم يعرف أحد على وجه اليقين ، أى هيو ميللر هذا الذى تسأل عنه •• وظلت كورا هناك طوال النهار ، ولكن عندما خرج النـاس من ذلك المبنى عائدين الى بيوتهم فى المساء ، لم تعرف ما تعمله غير العودة الى البيت هى الأخرى •

لم تعد بعد ذلك الى مضايقة الناس الذين يعملون فى شركة الترام،

ولم تجد الوقت للذهاب الى هناك ، من أجل أمر واحد ، فى الوقت الذى وراءها فيه الكثير لتنهض به فى المنزل . كان لابد لها من العناية بالأطفال الثلاثة ، وكان عليها أن تخرج كل يوم وأن تجد الطعام الكافى لدفع غائلة الجوع عنهم .. كانت تظل فى بعض الاحيان طول اليوم لتحصل على مايكفى لاطعامهم وجبة صغيرة واحدة ، وفى أحيان أخرى كانت لا تجد شيئا على الاطلاق يأكلونه ، ولكنها تظل فى الطريق لأن الأطفال لابد أن يتناولوا طعامهم .

كانت بيرل ، الفتاة الكبرى ، فى حوالى العاشرة من عمرها ، وكانت روبى لا تزال مجرد طفلة ، ولكن بيرل كبرت .. كانت ذات شعر أصفر طويل ، وفستان من القطن الأزرق المخطط ، وكانت تحاول أن تساعد أمها ما استطاعت الى ذلك سبيلا تعنى بالأطفال الآخرين عندما تكون كورا بالخارج بحثا عن الطعام ، وتساعد أمها بالليل فى الاشراف على نومهم فى فراشهم ، وكانت كورا بعد نومهم تكلمها عن والدها ، هيو .

قالت الام لبيرل : « كان والدك يعمل لدى شركة الترام ، وستقوم الشركة بمساعدتنا ، ولكن لديهم هناك من كثرة الأعمال ما لا يتيح لهم الوقت لعمل أى شىء فى هذا الموضوع الآن .. انهم سوف يقومون بمساعدتنا اذا تذكروا جيدا جميع الذين عملوا لديهم باسم هيو ميللر .. ليس والدك سوى واحد منهم ، ومن الصعب على الشركة أن تفاضل بينهم.

قالت بيرل لأمها : « فى مقدورى أن أشتغل ، لقد صرت كبيرة الآن. وسوف أرى اذا كان من الممكن أن أجد عملا ما أقوم به .. خذينى معك يا ماما ، وسوف أبحث عن عمل .. فى مقدور جون وروبى أن يعنى كل منهما بالآخر اذا أغلقنا عليهما الحجرة قبل خروجنا » .

قالت كورا : « أنت لست كبيرة بالنسبة لعمرك ، لن يصدقك الناس عندما تخبرينهم أنك فى العاشرة .

ـ « ولكنى أستطيع أن أعمل . سوف أريهم الى أى مدى أستطيع أن اعمل . »

ـ « كان هيو يعمل فى شركة الترام يا بيرل .. وهيو والدك ، وسوف تساعدنا الشركة يوما ما . ولكنهم الآن مشغولون جدا .. وأنا لا أحب أن أضايقهم كثيرا وهم مشغولون هكذا » .

ذهبت بيرل الى فراشها وهى تخبر أمها أنها كبرت بحيث تستطيع أن

تعمل • ولم تقل كورا شيئا آخر ، ولكنها لم تكن تستطيع أن تفكر فى أى نوع من العمل يكون فى قدرة بيرل أن تقوم به •

فى صباح اليوم التالى خرج جون وروبى مبكرين لاحضـــار بعض الخشب للمواقد •• لم يكن لديهما أحذية ينتعلانها ، ولم يكن معطفاهمـا ثقيلين دافئين •• وكانت الدنيا فى منتصف الشتاء ، ولكن الأرض بدت خالية من الثلج •• وعندما رجعا بعد ظهر ذلك اليوم ، كانت أقدامهمـــا تدمى حول الأصابع وكعوبهما قد تسلخت فى عدة أماكن •

وسألت كورا : « أين خشب الوقود ، يا جون ؟ » •

ـ لم نستطع العثور على شىء منه •

ارتدت كورا عباءتها ، وأحكمتها حول رأسها وكتفيها جيدا ، وخرجت الى الحارة •• لم يكن هناك خشب من أى نوع ، ولكن فى الطرف الآخر من الحارة يوجد مخزن فحم كان يمتلىء أحيـــانا حتى يفيض منه الفحم ويسقط فى الطريق •• ملأت مريلتها بالفحم وعادت مسرعة الى البيت •• وتجمع الأطفال حول الموقد ، مرتعشين موحوحين ، وهى تشعل النار

قالت روبى : « أنا جائعة يا ماما » •

فوعدتها كورا : « سوف أحصل على شىء من الطعام » •

وسألها جون : « متى نحصل على شىء نأكله مرة أخرى » •

ـ سوف أحضر لكم معى بعضا من الطعام عند رجوعى •

ارتدت كورا العباءة وخرجت الى الحارة ، وأسرعت الى الشـــارع ووقفت هناك حائرة عدة لحظات حتى تستطيع أن تقرر الاتجاه الذى تتخذه وسارت هذه المرة ناحية الطرف المنخفض من الشارع ، بدلا من المشى نحو الطرف الآخر •

وبعد أن أسرعت فى مشيها حتى جاوزت خمسة أو ستة بلوكات ، وصلت الى مجموعة من المحال البسيطة المكونة من طابق واحد •• كان هناك عدة رجال يقفون على الرصيف أمام المبانى •• كانوا ينتظرون الترام ليقلهم الى طرف المدينة ، والتفت الرجال ونظروا ناحيـــة كورا عندما وجدوها تجرى نحوهم •

وتوسلت : « أعطنى نصف دولار من أجل أطفالى ، يا سيدى •• »

والتفت الرجال حولهم ونظروا اليها من الرأس الى القدم ٠٠ وضحك أحدهم فى وجهها ٠

وقال أحدهم : « أيتها الأخت ، أنا لا أدفع فلسا واحدا لك ولى ستة من أمثالك » ٠

وضحك الباقون لما قاله .. كان الترام آتيا منحدرا فى الشارع ، ودقات جرسه ترن ٠ ومشى الرجال الى الشارع ووقفوا بجوار القضبان منتظرين توقف الترام للركوب فيه ٠ وتبعتهم كورا حتى منتصف الشارع ٠

وقالت للرجل الذى تكلم اليها : « أيها السيد ، أيها السيد ، ماذا يمكن »

أجابها فى غضب : « لا تناديني بـ « ياسيد » لا أحب هذا ، أنا اسمى جونسون ٠ »

وضحك الآخرون عليها مرة أخرى ٠ وتقدم جونسون نحوها ونظر اليها بينما استمر أصدقاؤه يضحكون منها ٠

قالت كورا : « مستر جونسون ، مقابل ماذا تعطينى نصف دولار؟»

سألها : « مقابل ماذا أعطيك نصف دولار ؟ »

ـ « نعم يا مستر جونسون . مقابل ماذا ؟ »

استدار حوله وسمز بعينه للآخرين قبل أن يجيبها ، وشجعوه على الاستمرار

فسألها : « هل عندك بنت فى البيت ؟ »

ـ « نعم يا سيدى ٠ لدى بيرل ، وروبى أيضا . »

ـ « حسن ، لا أستطيع أن أمنحك نصف دولار ، ولكن قد يكون فى مقدورى أن أمنحك ربع دولار » .

ووقف الترام وفتح الباب ٠٠ كان مثبتا على معطف السائق قرص صغير يشبه تماما القرص الذى كان يملكه هيو ٠

وقفز الرجلان الآخران الى الترام ، وهما يحثان جونسون على الصعود بسرعة أما هو فقد نظر الى كورا لحظة أخرى ، ويده على الترام ،

ولكنها عندما ظلت واقفة هناك فاغرة فاها ، عاجزة عن الكلام . استدار وقفز الى الترام .

وجدت كورا نفسها تقف وحدها بجوار القضبان .. وعندما بدأ الترام يسير ، شبت كورا على أطراف أصابعها محاولة أن ترى الرجل الذى كان يتحدث معها .. نادته فى عصبية ، محاولة أن تجعله يدرك موقفها ، ولوحت بذراعيها بحدة ، محاولة جذب انتباهه ، وجرى ثلاثتهم جميعا الى مؤخرة العربة وضغطوا وجوههم على الزجاج حتى يتمكنوا من رؤيتها جيدا .. وأسرعت كورا الى منتصف الشارع ، ووقفت بين قضبان الترام ، تناديهم وتحاول ايقافهم ، ولكن الترام سرعان ما اختفى عن الأنظار ، ووجدت نفسها وحيدة بين خطوط الترام ، وخطت الى جانب الطريق ثم سارت فى الشارع راجعة الى الناصية أمام المحال حيث كان يقف الرجال عندما رأتهم أول مرة .. وعندما وصلت الى الناصية ، جلست على الرصيف تنتظر .

لم تدر كورا كم من الوقت مر عليها وهى تنتظر هكذا ، ولكنها وعدت الأطفال بأنها ستحضر معها بعض الطعام ، وعليها أن تنتظر مهما كان الوقت الذى تستغرقه ،لكن جونسون عاد أخيرا ، وهبط من الترام ومشى نحوها ، ودهش لرؤيتها هناك ، ووقف أمامها ينظر اليها فى حيرة، وسرت كورا لعدم عودة الرجال الآخرين معه .

وصحبته فى الشارع ، وراحت تتقدمه وتحثه على السرعة .. وبرغم أنه تبعها دون اعتراض ، الا أنه لم يكن يسير بالسرعة التى ترضى كورا ، فكانت تطلب منه دائما أن يسرع فى مشيته .. توقف لحظة بمحاذاة عامود النور ليشعل سيجارته بعود ثقاب ــ فرجعت كورا اليه مسرعة وجذبته من معطفه ، متوسلة اليه أن يتبعها بأسرع ما يمكن .

وعندما وصلا الى البيت ، أيقظت كورا ابنتها بيرل .. ووقف الرجل بجانب الباب وهو يحاور نفسه ترى هل يبقى ويرى ما يحدث أو يبتعد قبل أن يحدث شىء ما .. وخطت كورا نحوه وجاوزته لتغلق الباب دونه حتى لا يستطيع الخروج .

سأل كورا : « كم تبلغ من العمر ؟ »

ــ « حوالى العاشرة »

ــ « الدنيا شديدة البرودة هنا . لماذا لا تحتفظون بشىء من الحرارة ؟ ان لديكم موقدا هناك .

اجابته كورا . « اعطنى ربع دولار . وسأحاول أن أحضر بعض الفحم من مكان ما »

ــ « اطلبى منها أنتنهض »

ــ قفى يا بيرل

وانكمشت بيرل فى طرف السرير ، كانت متحيرة ومذعورة . وودت لو تجرى نحو أمها ، ولكن الرجل الغريب كان يقف بينهما . وكانت تخشى أن يمسكها قبل أن تتمكن من الوصول الى البـــاب حيث تقف كورا .

قال جونسون : « انت تكذبين على . انهـــا لم تقترب حتى من العاشرة .»

قالت كورا : «أقسم بالله يا مستر جونسون ، أنها فى العاشرة تقريبا . أرجوك ، يا مستر جونسون ، ألا تذهب الآن » .

قال وهو يرتجف ويهتز : بالله ، كيف لى أن أعرف أن هذه ليست خدعة ؟ »

ــ « أقسم لك بالله يا مستر جونسون !! »

« نظر جونسون فى أنحاء الغرفة فرأى جون وروبى يغطان فى النوم على السرير تحت البطانية .

ــ « ما عمر البنت الأخرى ؟ »

ــ « ثمانى سنوات »

قال : يا الهى !

ــ « ماذا هناك يا مستر جونسون ؟ »

ــ « أنا لا أصدقك . أنت تكذبين على . أن أيا منهمـــا لا تزيد عن السابعة أو الثامنة .»

ــ « ان بيرل تبلغ العاشرة تقريبا ، يا مستر جونسون . أقسم بالله أنها تبلغ العاشرة . أرجوك اعطنى ربع الدولار .

وعبر الغرفة متجها نحو بيرل .. حاولت أن تهرب ، لكن كورا أمسكتها وجعلتها تقف فى مكانها بجوار السرير . وانتظرت كورا خلف جونسون .

قال : « اطلبى منها أن تستدير »

قالت لها كورا ــ « استديرى يا بيرل »

قال جونسون ــ « يا الهى ! » وهو يحك وجهه ورقبتـــه بكلتا يديه .

وسألته كورا ــ « ماذا فى الأمر ؟ »

أجاب ويداه ترتعشان ــ « ان الجو هنا قارس البرودة ، أقدامى بدأت تتجمد .. لماذا لا تشعلين نارا فى الموقد ؟ » .

ــ « اذا منحتنى ربع دولار ، سأحاول أن أحضر شيئا من الفحم من مكان ما »

سألها ــ « كيف أعرف أنك صادقة . كيف أعرف أن هذا ليس مقلبا ؟ اننى أخشاك أنت تنظرين الى نظرة غير مطمئنة .. كيف لى أن أعرف أنك لن تذهبى مباشرة وتستدعى رجل الشرطة ؟ »

ــ « لن أفعل ذلك . أعطنى ربع الدولار .

ــ « سوف أقع فى ورطة ، اذا ضبطونى هكذا .. سوف يحكمون على بعشرين سنة أشغال شاقة ، ولن أخرج بعد ذلك حيا أبدا »

ــ لن أخبر احدا ، يا مستر جونسون . أقسم بالله ، لن أفعل ذلك . فقط امنحنى ربع الدولار »

دفع جونسون يديه فى جيوبه ونظر الى بيرل ثانية .. كانت يداه باردتين وكذلك كانت قدماه .. وبدت أنفاسه كالدخان وسط البيت البارد .

وقال ــ « اطلبى منها أن تدعنى أراها »

قالت كورا ــ « دعيه يراك ، يابيرل »

وانتظر جونسون ، وهو ينظر اليها والى كورا .. ولم يستطع أن يقف هناك متجمدا حتى الموت من البرد فى انتظار أن تجعل كورا ابنتها تطيع »

وحثت كورا ابنتها ــ « هيا ، يا بيرل ، أسرعى ، دعيه يراك »

وبدأت بيرل تبكى .

قال جونسون وهو يتراجع نحو الباب . « انهم يكلفوننى حياتى من أجل هذا . انك سوف تستدعين الشرطى قبل أن أستطيع الخروج من البيت .. أنا لا أحب الطريقة التى تنظرين بها الى .. لماذا لاتحتفظين ببعض الوقود هنا ؟ ان لديك موقدا »

وتوسلت كورا ـ « بحق السماء يا مستر جونسون ، لن أقوم بالابلاغ عنك أعطنى ربع الدولار ، ثق فى كلمتى » .

قال ـ « أحضرى أولا بعض الوقود هنا . ان أقدامى تتجمد من البرد » .

ـ لا أستطيع أن أحضر أى فحم ما لم تعطنى ربع الدولار » .

ـ « فى مقدورك أن تسرقى بعضا من الفحم .. أليس كذلك ؟

ـ « أعطنى ربع الدولار أولا يا مستر جونسون » .

ـ « كيف لى أن أعرف أنك صادقة فى وعدك ؟ أنا لا أحب الطريقة التى تنظرين بها الى . كيف لى أن أعلم أن هذا ليس مقلبا ؟ »

ـ « أقسم بالله ، لن أبلغ عنك يا مستر جونسون . »

« أشعل جونسون سيجارة وجذب منها الدخان بطريقة انسان يستنشق الهواء .. وبينما كانت رئتاه وفمه وخياشيمه متشبعة بالدخان ألقى السيجارة فى الموقد ، ودفع بكلتا يديه فى جيوب البنطلون .

وقال ـ « قولى لها أن تجىء هنا » .

ـ « اقتربى منه يابيرل »

مال جونسون ونظر الى بيرل فى الضوء الخافت . واعتدل لحظة، ثم مال مرة أخرى ونظر اليها عن قرب بامعان .

وقال فى اضطراب ـ « سوف يشنقوننى قبل أن تحل ليلة الغد لو أمسكونى هنا »

ـ « أعطنى ربع الدولار ، يا مستر جونسون ، وأقسم لك بالله أننى لن أخبر أحدا »

ـ قولى لها أن تظل واقفة
ـ « قفى يا بيرل »

ـ « بالله أحضرى بعض الوقود هنا . »

وتوسلت اليه كورا ـ « أعطنى ربع دولار أولا يا مستر جونسون »

قال مرتعشا ـ « وعندئذ تخرجين وتبلغين الشرطى ؟ »

ـ « أعطنى فقط ربع الدولار أولا . »

صاح فيها ـ « أنت مجنونة .. أنا لا أحب نظراتك . كيف لى أن اعرف ما ستفعلينه ؟ ان أول شىء تفعلينه بعد اسراعك الى الخارج قد يكون استدعاء الشرطى .

ـ « اعطنى ربع الدولار ، وسأحضر شيئا من الفحم . »

ـ « وتخبرين الشرطى »

ـ « أقسم أننى لن أفعل ذلك يا مستر جونسون . أعطنى ربع الدلاور وسأحضر بعض الفحم .. »

وأدار جونسون ظهره الى كورا ، واقترب من بيرل ، واخرج يديه من جيوب بنطلونه ونفخ فيهما .

ـ « قولى لها أن تكف عن هذا البكاء . »

ـ كفى عن البكاء ، يا بيرل . »

ومال جونسون على بيرل ووضع يديه تحت شعرها الكثيف الأصفر ، ولكن فى اللحظة التى لمسها فيها ، استدارت بسرعة وجرت نحو كورا .

ـ « انهم سيطيحون برأسى بأسرع مما أتصور »

ـ « أعطنى ربع الدولار يا مستر جونسون ، وأقسم بالله أننى لن أبلغ عنك »

وتردد لحظة ، ووضع يده فى جيب بنطلونه ، وهو ينظر الى بيرل وأخرج قطعة بخمسة وعشرين سنتا .. فخطفتها كورا من يده وانطلقت نحو الباب .

وصاح وهو يجرى خلفها ويمسكها : « انتظرى لحظة ! تعالى هنا وقولى لها أن تظل صامتة قبل أن تخرجى . »

قالت لها أمها ـ « ابقى ساكتة ، يا بيرل »

ـ « أسرعى وأحضرى بعض الفحم قبل أن أتجمد من البرد حتى

أكاد أشرف على الموت فى هذا المكان .. واذا أخبرت أحد الشرطة ، سوف أقتل آخر شخص فيكم قبل أن يلقوا القبض على .. ينبغى أن أكون أعقل من أن أدعك تخرجين من هنا قبل .. أنا لا احب الطريقة التى تنظرين بها الى »

أسرعت كورا الى الباب ثم الى الحارة قبل أن يتمكن من التفوه بكلمة أخرى .. وصفقت الباب وجرت بأسرع ما تستطيع الى نهاية الحارة . ودون أن تضيع لحظة واحدة ، انطلقت نحو طرف الشارع الى المحال المبنية من طابق واحد .

بعد أن جاوزت بلوكا ، توقفت ووضعت ربع الدولار بعناية على لسانها وأطبقت شفتيها بشدة حتى تكون على يقين من عدم سقوطه أو ضياعه فى الشارع المظلم .

كان باب أحد محال البقالة ما زال مفتوحا . أخرجت العملة من فمها ، وأشارت نحو الخبز واللحم البقرى ، ووضعت النقود فى يد البائع . فأسقط القطعة الفضية كما لو كانت قطعة من الصلب المنصهر ومسح يديه فى مريلته .

وقال — « ما هذا ؟ ماذا فعلت بها ؟ »

أجابت كورا — « لا شيء . أسرع ! »

عندما عادت كورا ، كان الأطفال نائمين . كان جون وروبى متدثرين جيدا داخل الأغطية ، وكانت بيرل راقدة على السرير ومن فوقها المعطف . وكان فستانها المخطط ملقى على الأرض ، وعليه بقع بنية لآثار قدم . لقد كانت تبكى ، ولم تكن الدموع قد جفت تماما على وجنتيها . وكانت عيناها محمرتين ووجهها متورما بجوار أرنبة أنفها .

ذهبت كورا الى جانب السرير وأزاحت المعطف عنها وراحت تنظر اليها . وانثنت بيرل على نفسها ، يداها تحيطان بركبتيها ورأسها فوق صدرها . ونظرت كورا اليها لحظة ، ثم أعادت فوقها المعطف بعناية.

بعد أن فتحت لفة الخبز واللحم ، دفعت بالورقة الى الموقد وأشعلت فيها عود كبريت ، وسحبت كرسيا بالقرب من الموقد ، ومالت الى الامام حتى تستطيع أن تمد ذراعيها حول جوانب الموقد وتستشعر الحرارة بقدر ما تستطيع قبل أن تنتهى الورقة المشتعلة .

وعندما عاد الموقد الى برودته ثانية ، وضعت كورا الخبز واللحم على كرسى بجوارها ، والتفت ببطانيتها فى انتظار طلوع النهار عندما يستيقظ الأطفال ، يجدون الطعام معدا لهم .



ثمر الجوز

عندما أقبل تشيرش الى الشارع بعد الغداء ، كان معه احدى الزكائب التى يضع فيها والده الشوفان ، وكان حجمها كبيرا حتى لتسع ملء برميل من ثمار الجوز .. وكنت أنا قد أحضرت زكيبة دقيق سعة ثمانية وأربعين رطلا ووقفت أنتظره على الناصية .

وعندما وصل الى مكانى وعرض على زكيبته قلت له :

ـ ان ظهورنا ستنقصم لو حملنا هذه الزكائب الكبيرة وهى ممتلئة بثمار الجوز ، لماذا لم تحضر زكيبة أصغر ؟

فقال تشيرش :

ـ ولماذا لم تفعل أنت ؟

ـ لم أستطع أن أعثر على غيرها ، وعلى كل حال لا ينبغى علينا ملؤها .. سأكون راضيا لو ملأت زكيبتى حتى منتصفها هذه المرة .

فقال ـ وأنا كذلك .. هيا بنا .. اننا لن نجد وقتا للعثور على ما يملأ حتى الجيب اذا لم نذهب سريعا .. وأراهن على أن هناك فى الغابة من سبقنا الى ثمار الجوز فى هذه اللحظة .

ومضينا حتى نهاية الشارع ، ثم اخترقنا حقل القطن خلف مخزن غلال ب.ج هوارد الذى يجاور الطريق ، وخلف الحقل تقع الغابة التى أعتدنا أن نجمع منها ثمار الجوز كل خريف .. وهناك توجد أشجار جوز كثيرة ، ولكن الغابة كانت فسيحة جدا بحيث كان الأمر يستلزم وقتا طويلا فى بعض الاحيان للعثور على شجرة جوز واحدة .

وقال تشيرش وهو يجرى بين صفوف القطن ويقفز فوق الأعواد الجافة :

ـ آمل أن نحصل هذه المرة على كميات هائلة من ثمر الجوز يا راى ، أود أن أعود الى البيت ومعى من هذه الثمار بعد تقشيرها وتجفيفها ما يكفى لملء برميل الغسيل الذى عندنا .

فى العام الماضى أحضرنا الى البيت ثلاثة أو أربعة أحمال من ثمار الجوز .. وبعد تقشيرها وتعريضها للشمس كى تنضج ، حجزنا منها ما سد حاجتنا طوال فصل الشتاء تقريبا .

قلت له ما رأيك فى السنة الماضية ؟ لو حصلنا على ذلك المقدار مرة أخرى يمكننا أن نبيع جزءا منه ، ونكسب بعضا من النقود .

فقال تشيرش وهو يلتقط قطعة من الحجارة ويطوح بها أمامنا بأقصى قدرته :

ـ ليس هذا بعيدا ، ولكنى أفضل أن آكلها ، فى أى وقت من الأوقات ·

واجتزنا احدى حفرات المصرف الجانبية التى ترد اليها المياه من طرف البلدة المنخفض فى طريقها الى المصرف الكبير ·· وكانت الحفرة جافة فى هذا الوقت من السنة لأنها تحمل المياه فقط فى أثناء الأمطار فى الشتاء ·· وكان هناك فى قاع الحفرة الرملى آثار كثيرة لأقدام أرانب، ويخيل لى من الطريقة التى بدت بها هذه الآثار ، أن الأرانب لابد أنها عرفت جيدا كيف تستخدم الحفرة عندما تسعى الى مكان ما بحيث لا تقع عليها عيون الكلاب الى تجوس دائما بين غيطان القطن والشوفان بحثا عن الأرانب ·

وقف تشيرش على جانب الحفرة ، وضرب برجله بعض القاذورات الى القاع وقال :

ـ أراهن على أن الأرانب تجد مشقة كبيرة فى الخروج من هذه الحفرة عندما تقع فيها ، أنا لا أحب أن أكون أرنبا ·

قلت ـ انها تقضى أوقاتا أسعد مما نفعل نحن ، وعلى أية حال ، فان لها طرقا وممرات تستطيع أن تسلكها عندما تبغى الخروج من مثل هذه الحفرة ·

وضرب تشيرش بقدمه مزيدا من القاذورات الى أسفل الحفرة ·· وكانت مثل كل حفر الصرف التى حفرت بالقرب من البلدة يبلغ عمقها حوالى ستة أقدام وعرضها قدمين أو ثلاثة أقدام عند القاع ·· ولم يكن من الصعب القفز فوق أية واحدة منها ، ولكن الكلاب والأرانب كانت تسقط فيها فى بعض الأحيان عندما لا تكون منتبهة الى ماتفعل ·

وتراجع تشيرش الى الخلف ثم جرى وقفز فوق الحفرة ، وفعلت مثله ·· لم تكن الغابة بعيدة عن هذا المكان ، ولم نتوقف مرة أخرى حتى وصلنا الى هناك · وكانت أشجار البلوط طويلة جدا حتى انها حجبت كل الأشجار الأخرى عن الأنظار ، مما جعل البحث عن أشجار الجوز مهمة صعبة ·· وبعد أن ذهبنا الى الطرف الآخر تقريبا من الغابة ، وجدنا احدى أشجار الجوز ، وكانت شجرة كبيرة ، أيضا ، ولكن كان هناك من

سبقنا اليها ، ولم يترك ثمرة جوز واحدة على الشجرة أو على الأرض • لقد أخذوا كل الثمار ، بل حتى قشروا بعضها فى هذا المكان بدلا من حملها أولا الى البيت •

قال تشيرش وهو يلقى بزكيبته ناظرا الى القشر المبعثر على الأرض :

ـ هذا هو ماكنت أخشاه ، ولكننى أود مع ذلك معرفة من حصل على ثمار الجوز فى هذه الغابة •

قلت له ـ انهم لا يستطيعون الحصول على كل ثمار الجوز • وأراهنك على أن هناك مائة شجرة أخرى حولنا •

وبدأت أمشى • والتقط تشيرش زكيبته ومشى خلفى •• كان من الواضح أنه غاضب لأننا لم نستطع الوصول مبكرين قبل غيرنا •

وعندما وصلنا الى الجانب الآخر من الغابة ، لم نعثر على شجرة واحدة •

ـ ماذا تعرف عن هذا ياراى ؟ قال ذلك وهو يطوح بقدمه الى الأرض الزكيبة التى يضع فيها والده الشوفان •

فقلت له ـ دعنا نحاول البحث فى الأجمة التى على الجانب الآخر من ذلك الحقل • لابد من وجود بعض ثمار الجوز فى مكان ما •

والتقط تشيرش زكيبته من طرفيها ، ومشى يجرجرها على الارض خلفه •

وكنا قد قطعنا منتصف المسافة عبر الحقل فى طريقنا الى الأجمة الثانية عندما وصلنا الى حفرة مصرف أخرى •• وكنا على وشك القفز من فوقها عندما رأيت مصادفة شخصا ما راقدا فى القاع الرملى على بعد اثنتى عشرة ياردة • فأمسكت تشيرش من كمه قبل أن يقفز وجذبته الى الخلف •

وسألنى تشيرش :

ـ ماذا هناك ياراى ؟

فقلت له وأنا أجذبه الى الخلف بعيدا عن الحفرة :

ـ لا ترفع صوتك هكذا ، هناك شخص ما تحت هناك •

وبدا عليه الذعر وهو يقول :

ـ أين ؟

فأشرت له حيث رأيت ذلك الشخص ٠

سألنى مرتعدا بعض الشيء :

ـ ماذا نفعل ٠٠ الأفضل أن نعود الى البيت ، أليس كذلك ؟

وركعت على الأرض ، وركع تشيرش بجانبى ، محاولا أن يكون بجوارى بقدر ما يستطيع ٠

قلت له ـ انتظر حتى أرى من يكون ٠ سأزحف الى هناك وأعرف من هو ذلك الشخص ٠ من الغريب أن يرقد انسان هكذا فى قاع الحفرة ٠

ولم يتبعنى تشيرش الى أن وصلت حافة الحفرة تقريبا ٠ ثم أقبل ورائى مسرعا ٠

قال : راى ، لا تدع أحدا يرانا ٠ قد يطلقون الرصاص علينا ، أو يحدث أى شيء ٠

وزحفت فى بطء نحو الحفرة ، حابسا أنفاسى ، وأنا أنظر الى الأسفل فى القاع ـ كانت « آنى دان » ترقد على ظهرها فى الرمل ، محملقة مباشرة الى السماء الزرقاء ٠ وكانت ملابسها معقودة حولها وكان يغطيها قطع من الطين الأحمر المبلل التى بدت كما لو كانت دماء حية ٠ وكانت « آنى دان » ساكنة سكون كل شيء من حولنا فى هذه اللحظة ، ولكنها بدت كما لو كان قد حدث لها صراع رهيب مع شخص ما فى أسفل الحفرة ٠

كانت « آنى دان » تعيش فى أحد البيوت القريبة منا ، وكانت تذهب وتعود دائما الى مكان ما ٠ لم تكن تمكث فى البيت مدة طويلة أبدا بعد مقتل والدها فى ماكينة الطحين ٠٠ وفى بعض الأحيان كانت أمها تأتى الى منزلنا وتسأل اذا كان أحد منا قد رأى « آنى » ٠

أمسك تشيرش كمى ، وحاول أن يجذبنى بعيدا ، لكننى هززت رأسى وجذبت نفسى بعيدا عنه ٠٠ بعد قليل توقف عن محاولة ابعادى ، وعاد الى حيث كنت عند طرف الحفرة ، ولم تتحرك « آنى » قيد أنملة منذ وقع عليها بصرنا لأول مرة ٠

قلت : ـ هالو ، آنى ٠

وتفتتت قطعة من الأرض من جانب الحفرة وسقطت فوقها ٠ ونظرت آنى مباشرة الى وجوهنا ٠

سألها تشيرش :

ــ ماذا حدث يا آنى ؟ ..

وكان من الخوف بحيث استطاع بالكاد أن يستمر مدة كافية للنظر اليها .

وكانت آنى لا تزال تنظر الينا مباشرة ، ولكنها لم تنبس بكلمة واحدة .

سألها : ماذا تفعلين هناك فى قاع هذه الحفرة يا آنى ؟ يظهر انك كنت فى صراع مع شخص ما فى هذا المكان يا آنى .

وأغمضت آنى عينيها .. وبعد لحظة صار وجهها أبيض فى لون لوزة القطن وبينما كنا نرقبها ، انثنت على نفسها وصارت كالحزمة ، ثم أخذت تضرب بقدمها جوانب الحفرة . وطارت فردة حذائها ، وفى أسفل جوربها بدت قطعة طين أحمر مبللة . وتراجع تشيرش الى الوراء ، ولكن عندما صرخت آنى ، عاد مسرعا ليرى ما حدث لها .. وعندما عادت الى سكونها ثانية نظر تشيرش اليها فاغر الفم وقال :

ــ هل أنت مصابة يا آنى .. ما الذى يؤلمك حتى تصرخين هكذا .. لماذا لا تقولين شيئا يا آنى ؟..

وسألتها أنا :

ــ لماذا لا تنهضين من هناك وتعودين الى البيت يا آنى ..

وصرخت آنى مرة أخرى ، ثم رقدت ساكنة لحظة ، دون حركة أو صوت . وعاد الى وجهها بعض الدم ، وفتحت عينيها ونظرت الينا بنفس الطريقة التى نظرت بها الينا أول مرة .

قالت فى ضعف :

ــ لا تخبر أحدا يا راى ، أنت وتشيرش . لا أريد أن يعرف أحد .

وبدا صوتها كما لو ان واحدة تتوسل اليك أن تعمل شيئا من أجلها بحيث لا تملك أنت ازاء ذلك الا الوعد الصامت .

قال تشيرش :

ــ الافضل لك أن تخرجى من هذه الحفرة الآن .

أجابت : لا أستطيع • لا أستطيع النهوض ياتشيرش •

فقال تشيرش :

ــ ألا تريدين الصعود ••

وهزت آنى رأسها كثيرا قدر ما استطاعت •

فقال لها : سأخبر أمك ، يا آنى ، اذا لم تخرجى من قاع هذه الحفرة وتعودى الى البيت ، سأذهب مباشرة الى أمك وأخبرها •

وعاد وجه آنى فجأة الى البياض ، وحفرت بيديها فى جوانب الحفرة، ساحقة الطين الاحمر الرطب حتى نز من بين أصابعها وراحت تصرخ ثانية •

قال تشيرش :

ــ أنا داهب الى البيت • لن أظل واقفا هنا •

كنت مذعورا أنا أيضا ، ولكن لم يخطر لى أن نذهب بعيدا ونترك آنى راقدة هناك تصرخ فى قاع الحفرة •• لذا أمسكت كم تشيرش وأوقفته •

وتفتت تحت أيدينا مزيد من القاذورات وسقطت فى الحفرة فوق آنى التى بدت كما لو أنها لم تلحظ شيئا على الاطلاق •

وعندما كفت عن الصراخ وفتحت عينيها ونظرت الينا ، بدت كما لو أنها شخص آخر غير آنى بالمرة •• ولم يعد الدم يجرى فى وجنتيها •

وقالت فى ضعف :

ــ لا تخبر أحدا يا راى ، انت وتشيرش ، هل تعداننى بهذا ••؟

أجابها تشيرش :

ــ ولم لا يا آنى •• لماذا تريدين منا ألا نخبر أحدا ••؟

ــ اننى أحمل طفلا ••

قالت ذلك وهى تغلق عينيها •

ومد تشيرش رأسه الى الامام كثيرا حتى لقد تفتتت كمية كبيرة من الطين والرمل وسقطت فى الحفرة • وغطى بعضها احدى رجلى آنى •

وتراجعنا بعيدا عن الحفرة ، دون أن ننهض من على ركبتينا ـ وأيدينا حتى صرنا على بعد اثنتى عشرة ياردة ٠

وقال تشيرش وهو يحبس أنفاسه بين الكلمات :

ـ دعنا نبتعد عن هذا المكان ٠٠ أريد أن أعود الى البيت ٠

وجرينا عبر الحقل ٠ وعندما بلغنا منتصف المسافة ، تذكرت زكيبتينا اللتين كنا نزمع احضار ثمار الجوز فيهما ، واللتين تركناهما عند حفرة المصرف ، ولكنى لم أقل لتشيرش كلمة واحدة عنهما ٠

وعندما وصلنا الى الأجمة ، كان تشيرش قد فقد أنفاسه ، وكان علينا أن نتوقف دقيقة ونستند الى بعض الاشجار حتى نستعيد أنفاسنا ٠

ـ راى ، هل تتصور أن آنى ستموت ٠٠؟

قالها وهو يأخذ أنفاسه بين الكلمات ، ويكاد يختنق عند كل كلمة ينطق بها ٠

ولم أدر ماذا أقول له ٠٠ وبدأت أجرى مرة أخرى ، وآخذ تشيرش يبكى لانه كان خلفى ٠٠ وعندما وصلنا الى الحقل الذى خلف مخزن غلال ب٠ج٠ هوارد كان تشيرش يبكى بشدة حتى انه لم يعرف الى أين يجرى ٠٠ ووقع على الارض وسقط على رأسه مرتين أو ثلاث مرات ، ولكنى لم أتوقف لانتظاره حتى يلحق بى ٠

وظللت أعدو حتى وصلت الى الفناء الامامى لبيتنا ٠



فى ذكرى .. جوديث كورترايت

مضى وقت طويل قبل أن يستطيع أى شخص فى لانكستر أن يكتشف السبب فى انتحار ميرل راندولف بمسدس والده صباح ذلك الاثنين من أوائل الربيع عندما دق جرس المدرسة معلنا بدء اليوم الدراسى ٠

ومرد ذلك انه لم يسمع أحد عن قيام صبى فى الثامنة عشرة بقتل نفسه ، والى جانب هذا ، لم يكن فى مقدور أحد من لانكستر التفكير فى دافع يغرى صبيا مثل راندولف أن ينتزع حياته الخاصة ٠

سمعت أم ميرل ، سارة راندولف ، صوت طلقة المسدس بعد انتهاء ميرل من تناول افطاره وخروجه الى المدرسة بدقائق قليلة ، ولكنها لم تهتم كثيرا أو لم تهتم اطلاقا بالامر وقتئذ ، لأن كثيرا من الجيران أصبحوا فى الفترة الاخيرة يجدون متعة فى فن الرماية وكثيرا ما يطلقون الرصاص من مسدساتهم وبنادقهم ومدافعهم نحو اللعب الصغيرة ونحو الاهداف الاخرى ٠

ومع ذلك ، عندما عاد والد ميرل ، جورج راندولف ، من متجر الحداید ساعة الظهر لتناول غذائه ، كما هى عادته منذ سنوات طويلة ، تذكرت سارة أنها سمعت صوت الطلقة ، وأخبرت جورج انها كلما فكرت فيها بدا لها انه من الغريب أن يتدرب أحد على الرماية فى الصباح المبكر هكذا ٠٠ وعندما انتهى جورج من طعامه غادر البيت ومشى عبر الفناء الخلفى الى مؤخرة الجراج ، وهكذا عرف لأول مرة أن ميرل راندولف قتل نفسه ٠

كانت السنة الاخيرة لميرل فى المدرسة العليا ، وكان بالاضافة الى الدرجات العالية التى حصل عليها فى كل المواد أمهر مسجل أهداف وأبرز لاعب فى فريق كرة السلة خلال العامين الماضيين ، وكان موسم الكرة قد انتهى ليلة السبت فى الاسبوع السابق عندما لعبت مدرسة لانكستر العليا جولة فائزة ضد فرقة احدى المدارس العليا بنيواورليانز ـ النتيجة ٧٢ هدفا ضد ٦٤ ٠

وطبيعى ، أن كل شخص فى لانكستر ابتهج جدا بالنتيجة ، وحتى صحف نيو اورليانز قد أثنت على فريق لانكستر لفوزه ضد المدرسة العليا التى سجلت قبل عشرات المرات نقطا أكثر من مدرسة لانكستر ٠٠ وكانت لانكستر مدينة صغيرة يبلغ عدد سكانها حوالى أربعة آلاف نسمة فى مجتمع يعتمد على الزراعة وقطع الاخشاب ، وتقع فى منطقة الغابات

الصنوبرية للسهل الساحلى على بعد حوالى خمسة وستين ميلا شمال شرق نيو اورليانز ·· وكان يوجد بمدرسة لانكستر حوالى ثلثمائة تلميذ وتلميذة بالمرحلة الابتدائية وحوالى مائة وخمسين طالبا بالمدرسة العليا ·

عندما فتحت مدرسة لانكستر خلال الاسبوع الاول من سبتمبر السابق ، كانت هناك مدرستان جديدتان احداهما هى ايف جرايسون ، التى كانت تقوم بالتدريس للمرحلة الاولى ، والاخرى جوديث كورترايت، التى كانت مسئولة عن الحضانة ·

كانت ايف وجوديث قد تخرجتا من كلية المعلمين ، حيث كانتا زميلتين فى الدراسة لمدة عامين ، وقد ظلت رغبتهما طويلا أن تبتدىء حياتهما العملية فى التدريس معا فى نفس المدرسة ·· وقد شعرتا بسرور وسعادة فائقتين عندما أبلغتا بعد تخرجهما بوقت قصير أن هيئة ادارة مدرسة لانكستر وافقت على طلبهما وأن الاجراءات قد اتخذت لتشتركا معا فى شقة صغيرة فى منزل خاص خلال العام الدراسى ·· كان الخطاب الذى تلقته كل منهما موقعا عليه من جورج راندولف ، الذى يعمل رئيسا لهيئة ادارة المدرسة ·

وعلى خلاف جوديث ، التى كانت فتاة محافظة ، رقيقة الصوت ، سوداء الشعر ، كانت ايف جرايسون فائرة بالحيوية ، مندفعة ، محتدمة العواطف ، ذات شعر أشقر لامع · كانت تبلغ واحدا وعشرين عاما فى ذلك الحين ، أصغر من جوديث بعام واحد ·· وكانت خلال الاعوام الاربعة من دراستها بالكلية معروفة لكثير من الشبان والمدرسين غير المتزوجين ·· فلم يكن غريبا ، اذن ، أن تغضب ايف وتشعر بالتعاسة عندما حضرت الى لانكستر ، وفوجئت بأن هيئة ادارة المدرسة قد طلبت من جميع المدرسين غير المتزوجين بصراحة أن تقتصر مواعيدهم الغرامية على عطلات نهاية الاسبوع وليس خلال الاسبوع المدرسى ·

وقد تمردت ايف فورا على هذا الامر بالخروج ليلة الثلاثاء علانية مع شاب يعمل كاتبا بالبنك ، وبعد يومين تلقت مذكرة شديدة اللهجة من هيئة ادارة المدرسة بانهم لن يحتاجوا الى خدماتها فى المستقبل اذا هى لم تحترم رغبة هيئة الادارة ، وأوضحت الفقرة الاخيرة من الخطاب بأن هيئة الادارة تشعر بأن المدرسين لن يكونوا قدوة صالحة للطلبة اذا انشغلوا فى نشاط نزق فى أثناء ساعات المساء من الاسبوع المدرسى ·· هكذا استقالت ايف جرايسون من وظيفة التدريس فى نهاية الاسبوع

الاول من الفترة الدراسية ، وسافرت فورا فى أحد الاوتوبيسات الى نيو اورليانز ٠

شعرت جوديث بالتعاسة لما حدث ، فقد كانت ايف صديقتها الحميمة خلال العامين الماضيين ، ولكنها تعرف أنه لا جدوى من مناقشة انسانة عنيدة متهورة مثل ايف جرايسون ، وقد حاولت ايف ان تغرى جوديث بالاستقاله والذهاب معها الى نيواورليانز ، ولكن جوديث كانت تتطلع الى مهنة التدريس وترغب أن تكون ناجحة منذ البداية ، وخاصة أنها لم تكن مخطوبة وكانت تتوقع أن تقوم بالتدريس سنوات كثيرة ٠

وقد رغبت مع ذلك أن تحتفظ بصداقة ايف جرايسون ، ووعدتها بزيارتها كثيرا فى نيواورليانز فى عطلات نهاية الأسبوع خلال بقية العام الدراسى ٠٠ وعندما سألتها جوديث عن نوع الوظيفة التى تستطيع أن تحصل عليها فى نيواورليانز لتساعد نفسها ، ضحكت وأخبرتها ألا تقلق بالنسبة لذلك ، وقالت انها ذهبت الى نيواورليانز عدة مرات فى اثناء اجازات الصيف وأنها تعرف طريقها هناك ٠

خلال فترة الخريف الدراسية ، التقت جوديث فى المدينة الصغيرة بعدة شبان ، وكان لها مواعيد مع بعضهم من حين لآخر فى عطلات نهاية الأسبوع على أنها لم تهتم اهتماما جديا بأحد من الرجال الذين التقت بهم فى لانكستر ولم تفكر فى الزواج ٠٠ وقد أمضت عطلة عيد الميلاد مع والديها فى الجزء الشمالى من الولاية ، حيث يملك والدها صيدلية ، بالرغم من أن ايف جرايسون حثتها وتوسلت اليها فى خطاب تلو خطاب أن تحضر نيواورليانز لقضاء الاجازات ؛ ووعدتها بمقابلة كثير من الرجال اللطاف فى اثناء وجودها هناك ٠

وكانت جوديث ، فى كل مرة تجيب فيها على أحد خطابات آيف ، تعدها دائما بالحضور الى نيواورليانز قريبا لزيارتها فى عطلة آخر الأسبوع ٠٠ وكتبت ايف اليها بالتفصيل عن الشقة المريحة التى استأجرتها ، ووصفت لها أثاث حجرتى النوم وحجرة الجلوس الكبيرة ، وكانت تنهى خطاباتها دائما بالتوسل الى جوديث بمشاركتها فيها ٠٠ وكانت لا تزال تخفى عن جوديث نوع الوظيفة التى تشغلها أو العمل الذى تقوم به ، بالرغم من أن جوديث ظلت تسألها عنها فى كل مرة تكتب اليها تقريبا ٠

عندما عادت جوديث الى لانكستر فى نهاية اجازة عيد الميلاد ، التقت بميرل راندولف فى القطار ٠

تقدم منها ميرل فى محطة السكة الحـديدية ، وعلى وجهه ابتسامة خجولة صبيانية ، محاولا أن يخفى الاحمرار الذى علا وجنتيه ، وقال لها ان سيارة والده معه وانه جاء ليأخذها الى المنزل الذى توجد به شـقتها الصغيرة ٠٠ عنـدما ركبت السيارة ، كانت تفـكر فى أن والد ميرل قد أرسله ـ وربما بعد كثـير من الاعتراض من جانب ميرل ـ لمقـابلتها ومساعدتها فى نقل حقائبها ، وأن ذلك مجرد مجاملة طيبة لها من رئيس هيئة الادارة ٠

وفى أثناء سير السيارة داخـل المدينة ، حاولت جوديث مرات أن تحمل ميرل على التحدث معها ، ولكنه كان خجولا ومرتبكا جدا فى حضرتها وكان يجيب على جميع أسئلتها بايماءات عصبية أو بهز رأسه ٠

ومع ذلك ، عندما وصلا أخيرا الى المنزل الذى تعيش فيه أوقف ميرل السيارة وبجرأة مفاجئة وغير متوقعة جذب يديها قبل أن تسـتطيع فتح الباب والنزول ٠ ونظرت جوديث اليه فى دهشة وهى تمسك أنفاسها ٠

وقال ميرل مضطربا وفى صوت مرتعش : « آنسة كورترايت ـ آنسة كورترايت » ٠

والتمع وجهه كله فى هـذه اللحظة وكان فى مقدورها أن تشـعر بارتعاشة يديه ارتعاشا عنيفا ٠

وسألته جوديث بكل ما تستطيع من هدوء : « ما هذا ، يا ميرل ؟ » كانت قد رأته ينظر اليها فى خجـل عددا من المرات فى المدرسة وكانت تدرك بطريقة ما انه كثيرا ما يرقبها عن بعد عندما تكون فى ملعب المدرسة مع فصل الحضانة ٠ كما حدث أيضا انه ، بينما كانت راجعة الى البيت فى وقت متأخر بعد ظهر أحد الايام شعرت فجأة بأن ميرل يتبعها ، ولكنها عندما نظرت خلفها لم تر أحدا ٠٠ وقالت لميرل وهى تنظر اليه مباشرة : « قل لى يا ميرل ، ما هذا ؟ »

قال مترددا : « آنسة كورترايت ـ أريد أن أطلب منك شيئا ؟ »

ـ « ما الذى تريد أن تطلبه منى يا ميرل ؟ »

أجابها وهو يتفادى النظر اليها بسرعة : « آنسة كورترايت ـ أريد أن أراك ٠ هل تسمحين لى ـ يا آنسة كورترايت ـ هل تسمحين ؟ »

قالت وهى تبتسم ابتسامة خفيفة : « طبعا ، ياميرل ، ألست ترانى الآن »

ـ « لا أقصد هذا ـ أقصد الطريقة الاخرى ـ »

ـ « ما هى الطريقة الاخرى يا ميرل ؟ »

ـ « حسن ، طريقة مختلفة » .

كان يحدق فيها باستعطاف ، كما لو كان يتوسل اليها أن تفهمه . وأرادت أن تخبره أنها فهمت فعلا ، وتحيرت ماذا تستطيع أن تقول أو أية اشارة فى مقدورها أن تومىء بها حتى لا تصدمه ، ولكنها فى نفس الوقت ترددت فى أن تدع نفسها تشجعه ، وشعرت برعشة خفيفة فى جسدها .

وسمعته يقول : « هل تسمحين لى ـ يا آنسة كورترايت ؟ » .

وعندئذ سألته : «ماهى الطريقة الأخرى التى تقصدها يا ميرل ؟ » .

ـ « أريد أن أراك ـ بالليل ـ » .

سألته وهى تستدير وتنظر بعيدا عنه : «ولماذا تريد أن تفعل ذلك ؟ » .

لقد تأكدت أنها أدركت ما يعنيه ، ومع ذلك كان هناك دافع ما يحملها على الرغبة فى أن تسمعه يقولها : « قل لى لماذا ، يا ميرل ؟ » .

ـ « لأنه ـ لأننى أميل اليك ـ يا آنسة كورترايت ـ وأريد ـ » .

ـ « لا ، ياميرل » نطقتها بسرعة ، وهى تنظر فى وجهه وتهز رأسها بشدة .. وجدت أن الوقت الذى ينبغى ألا تشجعه فيه قد حان . « أنت لا تستطيع أن تفعل ذلك » .

سألها فى اكتئاب : « لم لا ، ألا تميلين الى .؟ »

ـ « ليس الأمر كذلك ، ياميرل .. طبعا أنا أميل اليك .. أنت ولد ممتاز .. أنا أيضا معجبة بك جدا ، ولكن ـ ولكنى مدرسة ، وليس من الخير للمدرسة أن تزور أحد تلامذتها ـ ليس بالطريقة التى تتحدث عنها .. والآن أنت فهمت ، أليس كذلك ؟ »

فأصر قائلا ، وهو يزيد من الضغط على يديها : « لن يعلم بذلك أحد ـ يا آنسة كورترايت ، فى مقدورى الحضور الى هنا لرؤيتك الليلة بعد هبوط الظلام ـ لن يعرف أحد عن ذلك شيئا أبدا » .

وتحرك مقتربا منها وهو يتكلم وكان فى مقدورها أن تستشعر الحدة التى تحتدم فى جسده الفائر بالرجولة وهو يضغط عليها ٠٠ وأغلقت جوديث عينيها لحظات ، وهى تقول لنفسها لا ينبغى أن تدعه يقبلها ــ لأنها كانت تخشى اذا حدث ذلك ألا تستطيع السيطرة على نفسها ٠

وقال فى صوت سريع : « أنت جميلة جدا ــ يا آنسة كورترايت ، كل شىء يتصل بك جميل ــ أنت أجمل فتاة رأيتها فى حياتى ٠٠ لقد راقبتك كل يوم منذ حضرت الى هنا للتدريس ــ وأنت تزدادين جمالا طول الوقت » وهصر يديها فى قبضته القوية واستأنف قائلا : « دعينى أحضر لرؤيتك الليلة ! أرجو أن تسمحى لى ! أرجوك ، يا آنسة كورترايت ! » ٠

وأخذت جوديث نفسا عميقا ، وابتسمت له فى رقة وهى تهز رأسها ببطء ٠

وقالت له بصوت منخفض ، محاولة أن تكون حنونة قدر ما تستطيع ، لا ، يا ميرل ٠ ينبغى أن تتذكر أننى فى الثانية والعشرين من عمرى ، وأنك فى الثامنة عشرة فقط ٠٠ فحتى لو لم أكن مدرسة ، ولم تكن أنت أحد الطلبة لظل هذا الفارق ٠٠ أنت فهمت الآن ــ أليس كذلك ؟ » ٠

أجابها محتجا : « هذا لا يهم على الاطلاق ٠ أنا لا أبالى بذلك » ٠

قالت له فى حزم ، محاولة أن تسحب يديها من يديه : « ولكنه يهمنى أنا ، يا ميرل ٠٠ انه يعنى الكثير بالنسبة لى أنا » ٠

فقال فى حزن ممزوج باليأس : « لا أفهم السبب » ٠

ابتسمت له فى حنان : « سوف تفهم فى يوم ما ، ياميرل » ٠

وبحركة مفاجئة ، أحاطها بذراعيه وجذبها بشدة نحوه ، ووجدت أنه سيقبلها حتما اذا هى لم تتخلص من بين ذراعيه بسرعة ٠ ودفعته بكل ما تستطيع من قوة ــ وعالجت فتح باب السيارة والنزول منها قبل أن يستطيع الوقوف فى طريقها ٠٠

وفجأة ، وفى خضوع وصمت ، أخذ ميرل حقيبتها من السيارة ، دون أن ينظر اليها ، وحملها الى الباب الأمامى للمنزل ، ووضع الحقيبتين ودون أن ينظر اليها سوى لمحة خاطفة ، ثم استدار وأسرع عائدا الى

السيارة ٠٠ وبينما كانت عيناها تمتلئان بالدموع فى بطء ، وقفت عند الباب حتى مرت السيارة واختفت عن البصر فى نهاية الشارع ٠

ركبت جوديث الأوتوبيس الى نيواورليانز بمجرد اغلاق المدرسة بعد ظهر يوم الجمعة ٠

وكانت قد كتبت قبل ذلك بأيام الى ايف جرايسون أنها ستأتى أخيرا لقضاء نهاية الاسبوع ـ وأرسلت لها ايف بسرعة برقية تعبر فيها عن سرورها ٠٠ وصلت الى نيو اورليانز فى ظلمة المساء ، وركبت تاكسى الى شقة ايف ٠

كان قد مضى أربعة شهور منذ رأت احداهما الأخرى فى آخر مرة ، وقد ظلتا ساعتين تتكلمان ونضحكان حول كل شىء يمكن أن يخطر ببالهما ، مع استثناء واحد ، وهو أن جوديث كانت حريصة فى البداية على عدم ذكر ميرل راندولف وحاولت ايف عدة مرات فى اثناء الكلام أن تأخذ وعدا من جوديث بالحضور لزيارتها فى نهاية كل أسبوع خلال بقية العام الدراسى ، وكانت جوديث تقول لها ٠ انها ستحاول أن تأتى كثيرا قدر ما تستطيع ابتداء من هذا الأسبوع ، وفى كل مرة تقول فيها ذلك ، تصب ايف مزيدا من الويسكى فى كأسيهما وتشربان نخب نهايات الأسابيع القادمة ٠

وبعد أن شربتا عدة كئوس ، أخبرت جوديث ايف أخيرا عن ميرل راندولف وكيف أنه استمر يحاول اغراءها على أن تسمح له بزيارتها بكتابة كلمات مستعطفة ووضعها فى درجها بالمدرسة أو تحت عقب باب شقتها ٠

قالت ايف بطريقة ذات مغزى : « ان الولد مفتون بك ياجوديث ، لماذا لا تدعينه يحضر لزيارتك ولو مرة ، على أية حال ؟ » ٠

قالت جوديث محتجة : « أوه ، ليس فى مقدورى أن أفعل ذلك ـ انها مخاطرة كبيرة ٠ سوف يكتشف الأمر أحد ما ، وعندئذ ينبغى على أن أستفيل وأغادر لانكستر ٠ والى جانب هذا ، لا أعرف ماذا يمكن أن يحدث اذا انفردنا معا هكذا ٠

ضحكت ايف : « فى ظنى أنه سيكون موعد أروع قبلة فى تاريخ لانكستر » ٠

قالت جوديث فى صراحة : « هذا هو ما أخشاه » ٠

وفى المساء ، بعد أن تناولنا الغـــذاء ، دق جرس التليفون عدة مرات ٠٠ وفى كل مرة تجيب فيهـا ايف على التليفون تقول : انهـا مشغولة هذا المساء ثم تطلب من المتحدث أن يكلمها بالتليفون مرة أخرى الليلة القادمة ٠٠ وفى أثناء المساء ، والى أن ذهبنا الى الفراش أخيرا عند منتصف الليل ، حاولت جوديث عدة مرات أن تحمل ايف على أن تخبرها عن نوع مهنتها ونوع العمل الذى تقوم به ، ولكن ايف كانت تضحك دائما وتقول ان هذا لا يستأهل البحث أبدا فى وقت كهذا لأن احداهما لم تشاهد الأخرى منذ فترة طويلة ولأن هناك موضوعات كثيرة شائقة للتحدث فيها ٠

وبعد ظهر اليوم التـالى ، وكان يوم سبت ، وهو اليوم السـابق لليوم الذى ستعود فيه جوديث الى لانكســتر ، دق جرس التليفون ٠ وبعد أن تكلمت ايف مع شخص فترة من الوقت ، أخبرت جوديث أن أحد أصدقائها ـ سوف يحضر بعد دقائق قليلة ٠٠ وقبل أن يدق جرس الباب مباشرة ، سألت ايف جوديث اذا كان لا يضايقها أن تنتظر فى حجرة النوم الأخرى فترة قصيرة ٠

كانت جوديث قد ذهبت توا الى حجـرتها ، وأغلقت الباب عندما سمعت صوت رجل فى الصالة ، وبعد دقائق قليلة سمعت صوت اغلاق باب حجرة نوم ايف وكان فى مقدورها خلال نصف السـاعة التالى أن تسمع كلاما وأصواتا فى الحجرة المجاورة لها ، برغم أنها لم تستطع أن تفهم شيئا مما قيل ، وبعد ذلك سمعت طرقة على بابها ٠٠ وعندما فتحت دخلت ايف الحجرة وجلست على السرير ٠

وقالت جوديث : « أين صديقك ؟ » ٠

ـ «ذهب » ٠

ـ « بهذه السرعة ؟ »

أجابت ايف بايماءة من رأسها ٠

وسألت جوديث : « هل هو يمضى بسرعة هكذا دائما ؟ »

وابتسمت لها ايف : « أنت تقصدين ، يا جوديث ، هل هم يذهبون هكذا سريعا ـ وليس مجرد هو » ٠

وقالت لها جوديث : « لست فاهمة » ٠

ونهضت ايف من فوق السرير ، وقالت وهى تخرج من الحجرة : « هيا نشرب كأسا ، يا جوديث » ٠

ذهبتا الى المطبخ وملأتا كأسين بالويسكى ومكعبات الثلج ، ولم يجر بينهما حديث حتى ذهبتا الى الصالة وجلستا على الأريكة ٠

قالت ايف فجأة : « آمل أن تعودى فى نهاية الأسبوع المقبل ٠ أرجوك أن تعودى ، يا جوديث » ٠

قالت جوديث : « لا أظن أنى أستطيع الحضور بهذه السرعة ولكنى سأعود مرة ثانية ــ اذا كنت تريدين ذلك » ٠

وتوسلت اليها ايف : « اذن هل تعديننى بالمجىء ثانية بعد أسبوعين من الآن ٠٠ أريد أن أقدمك الى بعض أصدقائى ٠٠ أنا متأكدة أنك سوف تميلين اليهم ٠ »

ووافقت جوديث : « حسنا ، هذا وعد » ٠

كان يوم السبت أيضا ، وكانت ليلة دافئة أخرى من أوائل الربيع ٠ وقد حضرت جوديث لقضاء نهاية الاسبوع مع ايف مرة أخرى ٠ وكانت جوديث فى كل أسبوع خلال الشهرين الماضيين تغادر لانكستر فى الأوتوبيس بمجرد اغلاق المدرسة بعد ظهر الجمعة ، ثم تعود من نيواورليانز فى نهاية ليلة الأحد ٠

كان التليفون قد رن عدة مرات فى ذلك المساء ، وكانت جوديث وايف تتبادلان الرد على المكالمات ، كما تعودتا أن تفعلا فى الوقت الحالى ٠٠ وبعد أن دقت الحادية عشرة بوقت قصير رن جرس التليفون مرة أخرى ، وكان دور جوديث للرد على المكالمة ٠٠ وسأل شخص ما لم يذكر اسمه اذا كان فى مقدوره أن يحضر الى الشقة توا ٠

كانت ايف فى حجرتها عندما دق جرس الباب ، وفتحت جوديث وفوجئت به فتراجعت الى الخلف ، وهى تضع يدها على فمها ٠٠ لقد تعرفت عليه فورا ، برغم الاضاءة الخافتة ٠٠ ان هذا القوام الطويل الممتلىء بالرجولة والشعر الخفيف الأشعث والملامح الحجولة التى لميرل راندولف أكثر وضوحا الآن فيه من أى وقت مضى ، وظل دون أن ينظر اليها مباشرة ٠٠ ذهب الى منتصف الصالة ووقف هناك ينظر الى الأشياء الغريبة التي تحيط به ٠

وأغلقت جوديث البـاب ببطء ووقفت خلفه بينما كانت الأفكار تتسابق مختلطة فى ذهنهـا ٠٠ الأمر الثانى الذى تنبهت اليه ، أن ميرل استدار وراح يحملق فيها فاغرا فاه ٠

وقال بصوت غير واضح : «آنسة كورترايت ــ آنسة كورترايت ــ ماذا تفعلين هنا ؟ » ٠

ولم تستطع جوديث أن تجد سبيلا للاجابة عليه ٠٠ ظلت واقفة هناك وقد أسندت ظهرها بشدة الى الباب ، تفرك يديها وتمسك أنفاسها لحظة بعد أخرى ٠٠ وبدت الغرفة وكأنها امتلأت فجأة بحرارة خانقة ٠

وقال ميرل وهو يهز رأسه فى غير تصديق : « ولـكن ــ يا آنسة كورترايت ــ أنت لست ــ » ٠

وسألته فى ضعف : « ماذا تفعل هنا يا ميرل ؟ »

ــ « لعبنا كرة سلة فى نيواورليانز الليلة وانتصرنا ، تغلبنا عليهم اثنين وسبعين ضد أربعة وستين ٠٠ كانت الجـولة الأخيرة فى هذا الموسم بالنسبة لنا ، وقد قال المدرب انه يمـكننا أن نتمشى فى المدينة قليلا أو أن نذهب للسينما واننا غير مضطرين للعودة الى الفندق قبل منتصف الليل ٠ وبينمـا كنت أتمشى ، أخبرنى شـخص بأن أطلب رقم تليفون معين ــ اذا أنا أردت أن ــ ولكنى لم أكن أعرف أنك ــ » ٠

وحاولت جوديث أن تبتسم ابتسامة خفيفة وقالت : « أنا سعيدة بفوز لانكستر فى اللعب » ٠

أعقب ذلك فترة قصيرة من الصمت فى الحجرة ٠

وأخيرا سألت جوديث : » ما الذى ستفعله ــ يا ميرل ؟ »

هز ميرل رأسه قائلا : « لا أدرى ــ يا آنسة كورترايت ــ ولكنى لا أستطيع أن أمكث هنا ! ينبغى على أن أذهب ! »

ــ « ولكن ، يا ميرل ــ » ٠

وعندما اجتاز الغرفة بخطوات طويلة ، تحركت جوديث مبتعدة عن الباب فلما وصل الى الباب فتحه عن آخره ، وبدون أن ينظر اليها ثانية ، جرى نحو الشارع وبعد أن ذهب ، أغلقت جوديث الباب وأحكمت اغلاقه بالمزلاج ٠

وعندما وصلت الى الاريكة وسقطت فوقها ، كانت عيناها قد امتلأتا بالدموع ٠٠ وقد أدركت فى وقت ما بعد ذلك أن ايف هزتها وتوسلت اليها أن تخبرها بما حدث ، لكن جوديث أغلقت عينيها بشدة أكثر وبكت فى ألم بكل ما فى قلبها من يأس ٠



جـــزيرة مــود

كان العم مارفن قلقا ·· نهض من فوق جذع الشجرة ومشى نحو النهر ··

قال وهو ينفض قبعته ويمسح جبهته ، « لا أحب منظرها ، أيها الأولاد » ·

كان المركب ينحدر مع النهر بسرعة ثلاثة أميال فى الساعة تقريبا، وكان هناك رجل ذو قبعة من القش وقميص بلا أكمام ، يحاول أن يرسيه على الشاطىء وكان يرتدى بنطلونا قطنيا استحال لونه من البنى الغامق الى البنى الاصفر ·

قال العم مارفن ، ملتفتا نحو جيم ونحوى : « أنا لا أميـــل الى منظر المركب مطلقا » ·

قال جيم : « ربما ضلوا الطريق ، أيها العم مارفن ، ربما يتوقفون ليعرفوا فقط أين هم ، ثم يمضوا فى طريقهم بعيدا مرة أخرى » ·

قال ، وهو يهز رأسه ويمسح العرق عن وجهه : « لا أعتقد ذلك ، يا بنى ·· ان الأمر يبدو لى سيئا جدا ·· فمثل هــذا النوع من المراكب لا أذكر أنه خرج للخير أبدا · »

وعلى حبل غسيل قصير ممتد فوق جانب المركب ، كانت هناك ست أو سبع قطع من الملابس معلقة ترفرف فى الهواء ·

أضاف ، وهو ينظر نحوى : « ان الأمر يبدو غاية فى الســوء ، يا بنى » ·

مشينا على الأرض الطينية حتى وصلنا الى النهر ، وتوقفنا لنرى ماذا يكون من شأن المركب ·· وأخرج العم مارفن لفة التبغ وقطع منها بمديته قطعة صغيرة ليمضغها كان المركب يتأرجح نحو الشاطىء ، وكان الرجل الذى يمسك بالمدرة يحاول أن يرسى المركب على الشاطىء قبل أن يمنعهم التيار ويحملهم ثانية الى وسط القناة ·· وكان هناك قارب بخارى موضوع على جانبه بالقرب من المؤخرة ، وعلى القـــارب البخارى الحبل الذى يستخدم فى الابحار الى أعلى النهر ·

وعندما أصــــبح المركب على بعد يبلغ طوله مترين أو ثلاثة من الشاطىء ، صـــاح العم مارفن فى الرجـــل الذى يستخدم المدرة لارســاء المركب على الشاطىء ·

قال بخشونة ، محـــاولا أن يخيف الرجل ويبعده عن الجزيرة : « ما اسمك ، وماذا تريد هنا ؟ »

وبدلا من أن يرد الرجل ، ألقى الينا بحبل ٠٠ فالتقطه جيم ، وبدأ يجذبه لكن العم مارفن أمره بالقائه ، فألقاه جيم من يده وغرق الحبل عند منتصفه فى المياه الصفراء ٠

صاح الرجل الذى فوق المركب : « لماذا ألقيت بحبلى ؟ ماذا دهاك؟

بصق العم مارفن بعض عصـــير التبغ وحدق فى الرجـل ٠٠ كان المركب على وشك الرسو على الشاطىء ٠

قال الرجل : « اسمى جراهام ٠ ما اسمك انت ؟ » ٠

صاح العم مارفن : « هذا ليس من شـــأنك ٠ ابتعد بهذا المركب من هنا » ٠

وبدأ المركب يرسو على الشاطىء ٠ وألقى جراهام بالمدرة على ظهر المركب ، وجرى وقفز على الأرض الطينية ٠ ونادى على شخص ما داخل المركب وهو يجذب الحبل من الماء ٠

ودارت مؤخرة المركب مع حركة التيار ، وجذب جيم ذراعى وأشار الى الحروف المكتوبة على المركب ٠٠ كان مكتوبا « مارى جين » وتحت هذه الحروف « سانت لويس » ٠

وبينما كنا نراقب الرجل الذى يجذب الحبل ، ظهرت فتاتان على المركب ونظرتا الينا ٠٠ كانتا صغيرتين جدا ، لم يكن يبدو على أية منهما أنها تزيد عن الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة ٠ وعندما شـــاهدتا العم مارفن لوحتا له بذراعيهما وأخذتا تجمعان الصناديق والربطة لتحملانها من المركب ٠

قال العم مارفن مهددا : « لا يمكنك أن ترسى هذا المركب على هذه الجزيرة ، لن يكون من الخير لك أن تفرغ المركب من هذه الحاجات ، لأنك ستضطر الى اعادتها ثانية ٠ لن يرسو أى مركب على هذه الجزيرة ٠

وارتقت احدى الفتاتين الحاجز وراحت تنظر الى العم مارفن ٠

ثم سألته : « هل تملك هذه الجزيرة أيها الكابتن ؟ »

لم يكن العم مارفن « كابتن نهرى » ، ولم يكن حتى يبدو عليه أنه

كذلك • كان أقرب شبها برجل يزرع القطن فى سفوح التلال المنحدرة خلف بحيرة ريلفت • وألقى العم مارفن نظرة على جيم وعلى ، ضاربا بقدمه جذر نبات كان ظاهرا من الأرض ، ونظر الى الفتاة مرة أخرى •

وأجابها ، متظاهرا بالغضب منها : « لا ، أنا لا أملكها ، ولا أدعى ملكية أى شىء على نهر المسيسبى » •

وخطت الفتاة الأخرى نحو الحاجز ومالت فوقه ، وهى تبتسم للعم مارفن •

وسألته : « هل أنت مختبىء ، أيها الكابتن ؟

وبدا على العم مارفن كما لو أنه يريد أن يقول لها شيئا ما لو لم يكن جيم وأنا موجودين هناك نستمع الى كلامه ، وأجاب الفتاة بهز رأسه •

وبدأ جراهام يحمل الصناديق والأربطة ، وتمنى كل من جيم وأنا مساعدته حتى تتاح لنا فرصة الصعود فوق ظهر المركب ، ولكننا كنا نعلم أن العم مارفن لن يسمح لنا بذلك أبدا • لقد رسا المركب على الأرض الطينية ، وأوثقها جراهام الى الشاطىء بأن عقد الحبل حول شجرة سرو صغيرة •

وعندما انتهى من عقد الحبل ، تقدم نحونا ومد يده الى العم مارفن ونظر العم مارفن الى كف جراهام ، ولكنه لم يصافحه •

قال الرجل : « اسمى هارى جراهام •• أنا من أعلى النهر من كاروزارفيل ما اسمك ؟ » •

أجاب العم مارفن وهو ينظر فى عينيه مباشرة : « هاتشينز ، وأنا لست مختبئا » •

وأخذت الفتاتان ، السمراء والشقراء ، تحملان الحاجات عبر الجزيرة الى الجانب الآخر قرب الرمال المتحركة ، كان عرض الجزيرة مائتين أو ثلثمائة قدم فقط ، أما طولها فقد كان حوالى نصف ميل •• وكانت تبدأ بحاجز رملى ، ولكنها تزدحم بعد ذلك مباشرة بالاشجار والشجيرات المتكاثفة كان نهر المسيسبى على الضفة الغربية ، أما الضفة الشرقية فقد كان فيها رمال متحركة تبدو بلا قاع • وكان حرف شاطىء تنيسى لا يبعد سوى نصف ميل من هذه الناحية •

قال جراهام : « نحن فى رحلة قصيرة فقط فى عطلة نهاية الأسبوع وقد رأت الفتيات أنه قد يكون من الجميل الانحدار مع النهر واقامة معسكر فى جزيرة لمدة يومين » •

سأله العم مارفن : أيهما زوجتك » ؟

نظر جراهام الى العم مارفن دقيقة مندهشا بعض الشيء٠٠ثم ضحك ضحكة قصيرة ، وأخذ يضرب الأرض بطرف حذائه ٠

وقال للعم مارفن : « لم أفهم تماما ما قلته »

ـ « قلت أيهما تكون زوجتك ؟ »

ـ « حسنا ، الحقيقة ، ليست احداهما ٠ انهما مجرد صديقتين حميمتين لى ٠ وقد فكرتا أنها تكون رحلة جميلة أن نبحر مع النهر ، ثم نعود في ظرف يومين ٠ هكذا الأمر » ٠

فقال العم مارفن ، وهو يشير برأسه الى الفتاتين : « لقد بلغتا سن الزواج » ٠

قال جراهام : « ربما ٠ تعال أقدمك اليهما ٠ انهما من بنات ايفانسفيل ، كلتا الفتاتين ٠٠٠ لقد تعودت أن أعمل فى أنديانا ، وقد التقيت بهما هناك ٠٠ ومن ذلك المكان حصلت على هذا المركب ٠٠ لقد حصلت على الزورق البخارى توا » ٠

نظر العم مارفن الى الحروف المكتوبة على «مارى جين» ونطق لنفسه اسم « سانت لويس » ٠

نظر العم مارفن نحوى ونحو جيم ، ولوى رأسه جانبا محاولا أن يأمرنا بالابتعاد ٠٠ ومشينا الى حافة الماء حيث أوثقت «مارى جين» الى الشاطىء ، ولكن ظل فى مقدورنا سماع ماكانوا يقولونه بعد قليل ، صافح العم مارفن جراهام وبدأ يسير على الشاطىء نحو قاربنا ٠

وقال : « تعال ، يا بنى ، أنت وميلت ٠٠ حان الوقت لصيد السمك ٠

ولحقنا بالعم مارفن ، وركبنا جميعا القارب ، وأمسكنا جيم وأنا بالمجدافين واستدار العم مارفن حتى يتمكن من مراقبة الناس الذين تركناهم خلفنا فى الجزيرة٠ كان جراهام يحمل الصناديق الثقيلة الى مكان خال ، وكانت الفتاتان تفضان الأربطة وتكشفانها للهواء على الأرض ٠

رحنا نجدف أنا وجيم حتى وصلنا الى بداية الخليج واقتربنا من منطقة الصيد ٠٠ وأخرج العم مارفن علبة الطعم ، وبدأ يرفع السنانير ويصطاد السمك ٠٠ وكلما اصطادت السنارة سمكة انتزعها ، وخبطها على كتفه الأيسر ، وألقاها فى الجردل ووضع طعما جديدا فى السنارة ٠

لم يكن هناك كثير من السمك فى المنطقة فى ذلك الصباح ·· وبعد أن جدفنا حتى بلغنا التيار الموجود فى وسط مدخل الخليج تقريبا ألقى العم مارفن بقية الطعم على ظهر القارب وأمرنا أن نستدير ونجدف ثانية فى اتجاه جزيرة مود ·

كان العم مارفن واعظا ·· فى بعض الأحيان يلقى عظاته فى ساحة المدرسة بالقرب من البيت ، وفى أحيان أخرى يلقيها فى أحد المساكن ·· انه لم يتعين أبدا بقرار رسمى ، ولم يتساهل فى دراسته أبدا ليكون قسيسا ، ولم يكن عضوا فى أية كنيسة ·· ومع ذلك كان يؤمن بالوعظ ولم يدع نقص تعليمه يحول بينه وبين القاء عظة حيثما سنحت له الفرصة ·· والناس داخل البلدة نفسها يطلقون عليه الواعظ مارفن ، ليس فى الأغلب لأنه واعظ حقيقة ، وانما لأنه يشبه الواعظ ·· وكان هذا أحد الأسباب التى جعلته فى بداية الأمر يشرع فى الوعظ ··· فقد اعتاد الناس أن يطلقوا عليه الواعظ مارفن · وقبل أن يصل الى سن الاربعين اتخذ مهنة الوعظ كدعوة ·· ولم يكن يبدو عليه أنه فلاح أبدا ·

– كثيرون من الناس يقولون ذلك ·

كان معسكرنا على جزيرة مود المعسكر الوحيد على النهر لمسافة عشرة أو خمسة عشر ميلا ·· وكانت جزيرة مود لا تبعد سوى ميل واحد عن الشاطىء ، حيث كنا نعيش فى تنيسى، وقد اصطحبنا العم مارفن لقضاء نهاية الأسبوع خمس أو ست مرات خلال الصيف · عند ما كنا نروح ونجىء بين أرض بلدتنا وبين الجزيرة ، كنا نجتاز دائرة كبيرة ، ميلين تقريبا بعيدا عن الطريق ، حتى نكون فى منأى عن الرمال المتحركة ·· (كانت الرمال المتحركة : وهى عبارة عن كتلة من الطين الأصفر ، والاشجار المتهدلة ، وأى شىء يحدث يصل اليها ، يجذبه التيار معه ·· وكان من المستحيل تقريبا الخوض فى هذه الرمال ، سواء على الأقدام ، أو بقارب مسطح القاع ، وكنا نحرص على الابتعاد عنها قدر ما نستطيع وفى بعض الاحيان كانت البغال والأبقار تبدأ المشى عليها من البلد لتصل الى الجزيرة ، ولكنها ما تكاد تبتعد قليلا حتى تختفى عن البصر ·· فقد كانت الرمال تبتلعها فى جوفها ·

ومع ذلك كانت جزيرة مود مكانا جميلا لاقامة معسكر ·· كانت على أرض على ضفاف النهر لمسافة عشرة أو خمسة عشر ميلا ، ولم يكن هناك أى خطر عليها من الفيضان عندما تغطى المياه العالية كل شىء على مدى البصر ·· ومع ذلك عندما ارتفع النهر الى اربعين قدما ، صارت

الجزيرة ، مثل كل شيء حولها ، مغطاة بالميـــاه من سفوح تنيسى حتى مرتفعات ميسورى ، على بعد سبعة أو ثمانية أقدام ٠

وعندما عدنا من منطقة الصـــيد ، طلب منــا العم مارفن أن نوقد النار ، بينما راح هو يقوم بتنظيف السمك وتجهيزه للقلى ٠٠ وذهب جيم لاحضار الخشب بينما رحت أنا أنفخ فى النار فى الفحم ٠٠ وأحضر جيم الخشب وأوقد النار ، ورحت أراقب جردل الماء المعلق فوق النار حتى تأهب العم مارفن لعمل القهوة ٠

وفى منتصف فترة ما بعد الظهر استيقظ العم مارفن من اغفاءته النهارية وقال : ان الحرارة من الشدة بحيث لا يستطيع النوم أكثر من هذا ٠٠ وجلسنا لمدة عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة ، لم يتكلم أحدنا فيها كثيرا ، وبعد قليل نهض العم مارفن وقال انه يرى أن يسير الى المعسكر الآخر ليعرف ماذا يفعل هناك الناس الذين جاءوا من كاروزارفيل أو ايفانزفيل أو من حيثما جاءوا ٠

ونهضنا أنا وجيم وتأهبنا للسير ، ولكنه هز رأسه وأمرنا أن نظل فى مكاننا ٠٠ ولم نتمالك الشعور بأن فى الأمر شيئا غير عادى ، لأن العم مارفن كان يصحبنا دائما أينما ذهب ونحن معسكرون فى الجزيرة وعند ما تكلم جيم عن الذهاب معه ، ثار العم مارفن وأمرنا بأن نفعل كما قال ، والا ندمنا على ذلك ٠

قال : « امكثوا هنا أيها الأولاد ولا تقلقوا ٠٠ ينبغى على أن أعرف أى نوع من الناس هم قبل أن نبدأ الاختلاط بهم ٠٠ انهم من أعلى النهر ، وليس هناك ما يمكن قوله عنهم حتى أتمكن من معرفتهم ٠٠ فقط امكثوا هنا أيها الأولاد ولا تقلقوا حتى أعود اليكم ٠ »

وبعد ما ذهب ، قمنا واتخذنا طريقنـــا الى المعســكر الآخر خلال الشجيرات الجافة ٠٠ وظل جيم يحثنى على السرعة حتى لاتفوتنا رؤية أى شيء ، ولكنى كنت أخشى أن أحدث من الصوت ما يسترعى انتباه العم مارفن الينا فيجرى عائدا ويضبطنا متلبسين بالتجسس عليه ٠

قال جيم : « لم يخبرهم العم مارفن أنه واعظ ٠٠ وتلك الفتيات يظنن أنه « كابتن نهرى » ، وأنا أراهن على أنه يريد أن يثبت هذا الظن فى أذهانهن ٠

ـ « لايبدو عليه أنه كابتن نهرى ٠٠ انه يبدو أشبه بالواعظ ٠٠ كانت الفتيات يقلن ذلك على سبيل المزاح فقط » ٠

قال جيم : « لقد تصرفت السمراء ببلاهة نحو العم مارفن • يمكننى أن أقول ذلك » •

قلت : « انها جين »

ـ كيف عرفت اسميهما ؟ •

ـ « ألم تسمع جراهام يتكلم معهما عندما كانتا تحملان حاجاتهما من المركب ؟ » •

قال جيم : « ربما فعل ذلك » •

ـ « لقد نادى هذه الفتاة باسم جين ، والبيضاء باسم مارج » •
وجثا جيم على الأرض وراح ينظر خلال الشجيرات •

وقال : « ليس العم مارفن ثائرا عليهم الآن لقدومهم واقامتهم معسكرا هنا » •

سألته : « كيف يمكنك أن تقول انه ليس كذلك ؟ »

ـ « يمكننى أن أقول ذلك من الطريقة التى يتكلم بها الآن » •

ـ لقد طلب من جراهام الابتعاد بمركبه عن هذه المكان ، أليس كذلك ؟ » •

همس جيم : « بالتأكيد فعل ذلك وقتئذ ، ولكن حدث هذا قبل أن تظهر الفتاتان على المركب وتميلان على الحاجز وتتحدثان معه •• فبعد أن رآهما لحظة لم يحاول أن يمنع جراهام من ارساء مركبه ، هل حاول ؟ »

وزحفنا مقتربين بقدر ما تسمح به جرأتنا •• وعلى بعد خمسين قدما استطعنا أن نرى كل ما كان يجرى فى معسكر جراهام ـ عند ما مشى العم مارفن نحوهم ، كان جراهام يجلس مستندا الى جذع شجرة سرو محاولا فك حبل سنارة ، وكانت الفتاتان متمددتين فى أسرة معلقة بين الأشجار •• لم يكن فى مقدورنا أن نراهما جيدا فى هذه اللحظة ، لأن جوانب الأسرة كانت تحجبهما ، ولكن الشمس كانت ساطعة على الأرض الخلاء ، وكان من السهل رؤيتهما عندما تتحركان أو ترفعان أذرعهما •

كانت هناك خمسة أو ستة صناديق من المشروبات مكومة تحت احدى الأشجار التى علقت فيها السراير ، وكانت هناك زجاجات عدة مفتوحة وملقاة فارغة ، وكان جراهام يضع زجاجة بجانبه على الأرض ، ومن لحظة لأخرى يتوقف عن انهماكه فى حبل السنارة المعقودة ، ويرفع الزجاجة ويتناول عدة جرعات منها •

وكانت الفتاة السمراء ، جين ، تمسك زجاجة فى يدها ، ممتلئة حتى منتصفها ، أما مارج فكانت تلعب بزجاجة فارغة فى الهـــواء فوق رأسيها ·· وبدا كل شخص كما لو كان يستمتع بأجمل وقت فى حياته ·

على أن أحدا منهم لم ير العم مارفن عندما وصل الى الأرض الخلاء·· كان جراهام مسغولا بمتابعة خيط السـنارة ، وتوقف العم مارفن ونظر الى ثلاثتهم حوالى دقيقه قبل أن يلحظوا حضوره ·

قال جيم : « أراهن على أن العم مارفن سيأخذ زجاجة ، على ماذا تراهن أنت ؟ »

ـ « القسيس لا يشرب البيرة ، هل يفعل ؟ »

قال جيم : « لكن العم مارفن سيفعل ذلك ، أراهن بأى شىء ·· أنت تعرف العم مارفن » ·

وفى هذه اللحظة فقط رفع جراهام رأسه عن خيط السنارة ورأى العم مارفن واقفا على مسافة لا تبعد أكثر من عشرة أقدام ·· وقفز جراهام واقفا وقال للعم مارفن كلاما ما ·· كان من المسلى مراقبتهم ، لأن العم مارفن لم يكن ينظر اطلاقا الى جراهام · كانت رأسه متجهة الى الناحية الأخرى طول الوقت ، وكان ينظر الى حيث ترقد الفتاتان متمددتين فى سريرهما ·· لم يستطع أن يرفع عينيه عنهما لحظة لينظر الى جراهام ·· وظل جراهام يقول له شيئا ما ، ولكن العم مارفن بدا كمـا لو كان واقفا فى الشاطىء الآخر من النهر بعيدا عن مدى السمع ·

وجذبت جين ومارج جوانب سريريهما فوق جسديهما ، ولكن ذلك لم يمنع العم مارفن من الاستمرار فى التطلع اليهما · وكان قد بدأ يرسم تكشيرة على وجهه ، ولكنه بدلا من ذلك تورد وجهه ·

والتقط جراهام زجاجة وقدمها الى العم مارفن ، الذى تناولها دون أن ينظر اليها ولوحتى مرة واحدة ، ومدها أمامه كما لو كان لا يعرف أنها فى يده · وعندما وجد جراهام أن العم مارفن لا يبدى أية محاولة لفتحها ، أخذها ووضع رأسها بين أسنانه وفتحها بسهولة كما لو كان فتحها بفتاحة زجاجات ·

وبدأت البيرة ترغى ، ورفع العم مارفن الزجاجة على فمـه وقلبها رأسـا على عقب ·· وأخذت الرغوة التى سـالت على يده قبل أن يضع الزجاجة فى فمه تتساقط على قميصه وتشكل خطا داكنا فوق الثياب الزرقاء ·

ومالت جين من سريرها وتناولت زجاجة أخرى • وفتحت الغطاء بفتاحة ثم رقدت ثانية •

وهمس جيم ، وهو يضـــغط على ذراعى : « هل رأيت ذلك ، يا ميليت ؟ » واطلق صفيرا خافتا من بين شفتيه •

قلت : « لقد رأيت الكثير ! »

قال : « لم أعرف أبدا بنـاتا يفعلن هـكذا حيث يمـكن أن يراهن أى شخص » •

قلت له : « انهما من أعلى النهر •• لقد قال جراهام انهمـــا من ايفانزفيل » •

قال جيم ، وهو يهز رأسه : « هذا لا يغير من الأمر شيئا •• انهما فتاتان ، أليس كذلك حسنا ، من شاهد فتيات ترقدن فى الأسرة المعلقة عارية بهذا الشكل ؟ الذى أعرفه أنى لم أشاهد ذلك اطلاقا من قبل » !

قلت له : « وأنا متأكد أنى لم أشاهد أية فتاة مثلهما من قبل » •

وذهب العم مارفن الى شجرة تحت أحد السريرين المعلقين ، ووقف هناك ، مستندا اليهـا قليلا ، والزجاجة الفارغة فى يده ، وراح ينظـر مباشرة نحوهما •

وكان جراهام يحاول أن يتحدث معه ، لكن العم مارفن لم يكن يبدى أى اهتمام بما يحاول جراهام أن يقوله •• وتركت جين جانبى سريرها ، وكذلك مارج ، وضحكتـا وحاولتا أن تحمـلا العم مارفن على الكلام •• وظل العم مارفن فاغرا فاه ، لكن وجهه زايله الاحمرار •

وسألت جيم وأنا ألكزة بمرفقى: ــ «لماذا لا يقول لهم انه قسيس ؟»

ــ «ربما يفعل ذلك بعد قليل» قال جيم هذا وهو يشب على أطراف أصابعه محاولا أن يرى المزيد من خلال الشجيرات •

قلت ــ يخيل لى أنه لن يخبرهم بذلك •• ان هذا لا يغير من الأمر شيئا على أية حال ، لأن العم مارفن ليس قسيسا حقيقيا •• انه يعظ فقط عندما يشعر بالميل الى الوعظ •

قال جيم : هذا لا يغير من الأمر شيئا •

ــ لم لا ؟

ــ هكذا فقط ، هذا هو السبب •

ـ لكنه مع ذلك يطلق على نفسه الواعظ ٠

ـ ليس عليه أن يكون واعظا الآن اذا لم يكن يريد أن يكون كذلك اذا أخبرهم أنه واعظ ، سوف يقفزون جميعا ويولون هاربين منه ٠

كان العم مارفن ما زال يقف بجوار الشـــجرة ناظرا الى الفتـاة السمراء ، وكان جراهام يقف الى جواره وبدا كما لو كان لا يعرف ماذا يفعل بعد ذلك ٠

وفجأة اعتدل العم مارفن وتلفت برأسه الى كل ناحية منصتا ٠ ونظر ناحيتنا ، ولكنه لم يستطع رؤيتنا ٠٠ وجثا جيم على ركبتيه ويديه حتى لا يراه ، وجثوت الى جانبه ٠

كان الثلاثة الآخرون يضحكون ويتكلمون ، ولم يكن العم مارفن يشترك معهم فى الكلام والضحك ٠٠ نظر اليهم لحظة أطول ، ثم وصل الى الصندوق الموضوع بجوار شجرة السرو ، وتناول زجاجة أخرى ٠٠ وتقدم جـراهام يفتحها له ، ولكن العم مارفن وضع رأس الزجاجة بين أسنانه وفتحها ٠٠ وأخذت البيرة ترغى خارج الزجاجة ، ولكن قبل أن يسيل منها الكثير ، رفعها العم مارفن على فمه وأفرغها عن آخرها ٠

وعندما صارت الزجاجة فارغة مسح فمه بظاهر يده ، وتقدم ثلاث أو أربع خطوات نحو الفتاة السمراء فى السرير المعلق ٠٠ وحركت جين قدما فى الهواء وجذبت جانبى السرير حول جسدها ، واعتدلت الفتاة الأخرى ليتسنى لها رؤية العم مارفن ٠

وتوقف فجأة ونظر ناحية معسكرنا فى الجـانب الآخر من الجزيرة لم يكن هناك صوت فى أى مكان ، سوى صوت خشخشة الرمال المتحركة الذى يتردد صـــداه باستمرار ، وسوى صوت لطمـات الميـاه الحادة على جانبى المركب ، وأنصت لحظة أخرى مرهفـا أذنيه مثل كلب يتأهب للانقضاض على أرنب ، ثم انطلق يجرى ، متجها نحو معسكرنا ٠٠ وقد وصلنا جيم وأنا الى هنـاك قبله بلحظة واحـدة ٠٠ وكنا نلهث بعد أن جرينا بهذه السرعة ٠٠ ولكن العم مارفن كان يلهث هو الآخر أكثر منا فلم يلحظ لهاثنا ٠٠ وتوقف ونظر الى النار الهامدة لحظة قبل أن يوجه حديثه لنا ٠

وقال : استعدوا للعودة الى البيت يا ولد أنت وجيم ، علينا أن نغادر الجزيرة الآن ٠

.. وأخذ يجمع أمتعتنا فى كومة ويطفىء بقدمه بقايا النار فى نفس الوقت ، والتفت حوله وبصق بعض عصير التبغ فوق قطع الفحم المشتعلة ورفع بملء يده الأشياء ٠٠ لم ينتظر حتى نساعده ، ولكنه انطلق مباشرة الى قاربنا فوق الطين ٠٠ وفى كلتا يديه حمل ثقيل من الأمتعة ٠٠ وكان علينا جيم وأنا ، أن نسرع للحاق به حتى لا ينسانا خلفه ٠

وأخذ المجدافين منا وراح يبتعد بالقارب دون أن ينتظر حتى نفعل نحن ذلك ٠٠ وعندما أصبحنا خارج مدخل الخليج ، نزع قبعته وألقى بها فى قاع القارب ومال على المجدافين أكثر مما سبق ٠٠ ولم أستطع أنا ولا جيم أن نفعل شيئا لمساعدته ٠٠ لأنه لم يكن هناك سوى مجدافين ، ولم يكن ليسمح بأن يترك أحدهما لنا ٠

ولم ينبس أحد بكلمة فى أثناء تجديفنا حول منطقة الرمال المتحركة وعندما أصبحنا على بعد مائة قدم من الشاطىء ، أخذ العم مارفن يجمع حاجاتنا فى كومة فى مؤخرة القارب ٠٠ ولم يكد قاع القارب يحتك بالشاطىء حتى رفع كومة حاجاتنا كلها وألقى بهافوق الطين٠٠وتدحرجت الأوعية والجرادل فى كل ناحية ٠

ولم يجرؤ أحدنا على أن يقول كلمة للعم مارفن ، لأنه لم يتصرف أبدا بهذه الطريقة من قبل ٠٠ ظللنا واقفين نراقبه وهو يبتعد فى النهر ويدور بالقارب حول الرمال المتحركة ٠ ومرت بنا لحظة كدنا نموت فيها من الخوف ، لأننا لم نشهد أبدا أحدا يمضى فى النهر مقتربا كل هذا الاقتراب من الرمال المتحركة ٠٠ كان يعلم طول الوقت أين مكانه ، ولكن لم يكن يبدو عليه المبالاة بعدد المرات التى يتاح له فيها النجاة من الرمال المتحركة ٠٠ وكانت آخر رؤيتنا له عندما اختفى عن بصرنا خلف جزيرة مود ٠

التقطنا حاجاتنا وأخذنا نجرى بها نحو البيت ، وكنا من السرعة طوال الطريق بحيث لم يستطع أحدنا أن يتفوه بكلمة واحدة الى الآخر ٠٠ وكانت المسافة الى البيت حوالى ميل ونصف ميل ، وكان الطريق يتصاعد فى كل خطوة ، ولكننا جرينا كل المسافة ، حاملين أمتعتنا الثقيلة على ظهورنا ٠

عندما وصلنا الى البوابة الخارجية ، جرت الخالة صوفى الى الفناء لمقابلتنا ٠٠ كانت قد رأتنا ونحن نجرى فى الطريق قادمين من النهر ، ودهشت لعودتنا بهذه السرعة ٠٠ عندما رحلنا مع العم مارفن مبكرا فى ذلك الصباح، كنا نحسب أننا سنقضى أسبوعا فى جزيرة مود٠٠ ونظرت

الخالة صوفى الى الطريق لترى اذا كان فى مقدورها رؤية أى أثر للعم مارفن ٠

ألقى جيم حمله من الحاجات وتهاوى بجسده على درجات الفناء يزفر ويلهث أنفاسه ٠

ـ أين عمك مارفن ياميلتون ؟

هكذا سألتنا الخالة صوفى ، وهى تقف فوق رأسى ، وتنظر الينا ويداها على فخذيها ٠ ثم قالت : أين مارفن هاتشينز ؟

وكان أول ماقمت به أن هززت رأسى ، لأننى لم أكن أعرف ماذا عسى أن أقول ٠

سألت جيم : أين عمك مارفن ، ياجيمس ؟

نظر جيم نحوى ، ثم نظر ثانية الى الدرج ٠ كان يحاول أن يتجنب نظرة الخالة صوفى المباشرة فى عينيه ٠

وتقدمت الخالة صـــوفى حتى وقفت بيننا وراحت تهز جيـــم من كتفيه ٠ هزته حتى سقط شعره على وجهه ، واصطكت أسنانه حتى بدت أنها تخلعت داخل فمه ٠

ثم تقدمت منى وهزتنى أكثر مما فعلت مع جيم ، وسألتنى : أين عمك مارفن ، ياميلتون ، أجبنى فى هذه الدقيقة ، ياميلتون !

وعندما رأيت مدى قربها منى ، قفزت وجريت فى الفناء بعيدا عن متناول يدها ٠٠ كنت أعلم مافى مقدورها من الهز العنيف عندما تريد أن تفعل ذلك ٠ انه أسوأ جدا من الجلد بفرع شجرة ٠

وقالت وهى تجرى جيئة وذهابا بينى وبين جيم : هل ذهب ذلك المأفون العديم النفع يجرى وراء احدى مومسات المراكب ؟

لم أسمع الخالة صوفى تتكلم بهذه الطريقة من قبل ، وكنت خائفا الى درجة أنى لم أستطع أن أنبس بكلمة ، كما أنى لم أسمعها أبدا تدعو العم مارفن بشىء كهذا أبدا ، ولم تكن بوجه عام تعيره التفاتا كبيرا الا عندما تريد منه أن يقطع لها أخشابا للموقد ، أو شيئا من هذا القبيل ٠

واعتدل جيم فى جلسته ونظر الى الخالة صـــوفى ٠ ووجدت أنه يتأهب ليقول شيئا حول الطريقة التى تحدثت بها عن العم مارفن ٠٠ كان جيم يقف دائما الى جواره كلما بدأت الخالة صوفى تهاجمه ٠

وفتح جيم فمه ليتفوه بشيء ، لكن الكلمات أبت أن تخرج منه ٠

وقالت الخالة صـــوفى : سوف يجيبنى أحدكم ؟ سأعطيك فرصة أخرى للكلام ، ياميلتون ٠

ـ لم يقل أين ذهب أو ما الذى ينوى أن يفعله ، ياخالة صوفى ! صـحيح ! لم يخبرنا ! فقـالت وهى تضرب بقـــدمها الأرض : ميلتون هاتشينز !

قلت : حقا ، ياخالة صوفى ! ربما ذهب الى مكان ما ليعظ فيه ٠

صاحت ، وهى تخبط يديها على فخذيها : « يعظ ، ياقدمى ! يعظ لو كان هذا المأفون العديم النفع يلقى من المواعظ نصف الأمور التى يفعلها الآن لأنقذ البلاد كلهـا منذ زمن طويل ! يعظ ! هـا ! يعظ ، ياقدمى ! لقد كان ذلك عذره للانطلاق من البيت عندما يكون فى نفسه غرض ، ولكنه لم يستطع أبدا أن يستغفلنى ٠٠ وفى مقدورى ، أيضا ، أن أخمن جيدا أين هو فى هذه اللحظة ٠٠ لقد ذهب يجرى وراء احدى مومسات المراكب ! يعظ ! آه ياقدمى ! »

نظر جيم الى ، ونظرت اليه ٠٠ لم يكن فى مقدورنا أن ندرك كيف اكتشفت الخالة صوفى موضوع الفتاتين اللتين من ايفانزفيل فى جزيرة مـــود ٠

وضغطت الخالة صوفى يديها على فخذيها أكثر قليلا وأشارت الينا برأسها ٠ وتبعناها الى داخل المنزل ٠

قالت : « سوف نقوم الآن بعملية تنظيف للبيت ٠ جيمس ، احضر أنت المكانس ٠ وأنت ، ياميلتون ، أشعل النار تحت وعاء الغسيل فى الفناء الخلفى وسخنه وهو ممتلىء بالماء ٠٠ وعندما تفعل ذلك جيدا ، تعال هنا ونظف السقف من العنكبوت ٠

وكانت الخالة صوفى تنتقل من غرفة الى أخرى ، مغلقة الأبواب خلفها بعنف ٠ وأخذت تجذب بشـــدة الســـتائر من النوافذ وتسحب السجاجيد من الأرض ٠٠ وبعد قليل كان فى مقدورنا أن نسمع صوت مكنستها ، وفجأة هبت سحابة كثيفة من التراب خلال النوافذ ٠

أسجد للشمس المشرقة

سرت خلال « لونى » رعدة ، وأبعد يده عن ذقنه الحادة ، وقد تذكر ما قاله « كليم » • انه يشعر الآن كما لو كان يرتكب جريمة بوقوفه فى حضرة « آرش جانارد » وبالسماح لوجهه بالظهور •

كان يمشى هو و «كليم» عصر ذلك اليوم فى طريقهما الى محطة البنزين عندما أخبر « كليم » عن مدى حاجته الى التموين •• وتوقف كليم لحظة قذف فيها زلطة بعيدا عن الطريق ، ثم قال انك اذا اشتغلت عند « ارش جانارد » مدة طويلة ، فان وجهك سوف يكون من الحدة بحيث يشق ألواح الخشب الخاصة بنعشك •

عندما استدار « لونى » للجلوس على صندوق فارغ بجوار أنبوبة للبنزين ، لم يتمالك أن يتمنى لو يستطيع أن يكون مثل كليم فى عدم خوفه من آرش جانارد •• ان كليم ولو أنه زنجى ، غير أنه لا يتردد أبدا فى طلب التموين اذا ما احتاج الى شىء يأكله ، وعندما كان كليم وعائلته لا يحصلان على كفايتهما يجىء ويخبر آرش بذلك •• وكان آرش يدفع له، ولكنه كان يقسم أنه سوف يطرد كليم خارج البلد فى أول فرصة تسنح له •

كان لونى يعرف دون أن يلتفت خلفه أن كليم يقف عند ناصية محطة البنزين مع زنجيين أو ثلاثة زنوج آخرين يرقبونه ، ولكنه لسبب ما لم يستطع أن يواجه عينى كليم •

كان آرش جانارد يجلس فى الشمس ، يشحذ مديته على جلد حذائه الطويل •• وألقي نظرة مرة أو مرتين على « نانسى » كلبة لونى التى كانت ترقد فى وسط الطريق تنتظره لترجع معه •

ـ أهذه كلبتك يا لونى ؟

ارتعد لونى من الخوف ، وتحركت يده نحو ذقنه لتخفى الوجه الهزيل الذى يفضح آرش بتقصيره فى التموين •

وفرقع آرش أصابعه فنهضت الكلبة ، وهى تهز ذيلها • وانتظرت أن يدعوها للاقتراب منه •

ـ مستر آرش ، أنا ••

أشار آرش للكلبة •• وابتدأت تزحف نحوهم على بطنها ، وهى تهز ذيلها بسرعة أكثر قليلا كلما فرقع آرش أصابعه •• وعندما أصبحت على

بعد بضعة أقدام انقلبت على ظهرها ورقدت على الارض ومدت أرجلها الاربع فى الهواء ٠

وضحك دادلى سميث وجيم ويفر اللذان كانا يتسكعان حول محطة البنزين ٠٠ كانا يستندان على جانب المبنى ، لكنهما اعتدلا ليرقبا ما يفعله آرش ٠

وبصق آرش مزيدا من الطباق على جلدة حذائه الطويل ومضى يشحذ نصل مديته ٠

وقال آرش : من أى نوع من الكلاب هذه الكلبة يا لونى ؟ يخيل الى أنها كلبة عادية ٠

كان فى مقدور لونى أن يشعر بعينى كليم هنرى تنصبان على قفاه ٠ وفكر ماذا كان يفعل كليم لو كانت الكلبة التى يفرقع لها آرش جانارد بأصابعه هكذا كلبته هو ٠٠

وقال شخص ما كان يقف خلف لونى : ان ذيل هذه الكلبة طويل جدا بالنسبة لذيل كلب الراكون أو كلب الطيور ٠٠ أليس كذلك يا آرش ، وضحك بصوت مرتفع ٠

وعندئذ ضحك الجميع ، ومن بينهم آرش ٠٠ وتطلعوا الى لونى ، منتظرين أن يسمعوا ما يقوله لآرش ٠

قال آرش وهو يفرقع أصابعه مرة أخرى : هل هو كلب مطبخ عادى يا لونى ؟

ـ مستر آرش ، أنا ٠٠٠

ـ لا تخجل منه ، يا لونى ، اذا لم يبد عليه علامات التحول الى كلب صيد طيور أو كلب صيد ثعالب ٠٠ كل واحد محتاج فى بيته الى كلب يستطيع الخروج والامساك بالخنازير والارانب عند الحاجة اليها ٠٠ وكلب المطبخ حيوان قوى محترم وقد عرفت الوقت الذى كنت فيه فخورا جدا بامتلاك أحدها ٠٠

وضحك الجميع ٠٠

كان آرش جانارد يتأهب لجذب نانسى من ذيلها ٠٠ واعتدل لونى فى جلسته ، ولوى رقبته حتى لمح نظرة كليم هنرى فى الطرف الآخر من محطة البنزين ٠٠ كان كليم يحملق فيه بنظرة ذات مغزى لا شك فيه ،

النظرة التى كانت تطل من عينيه عصر ذلك اليوم الذى قال فيه انه لا ينبغى على أى أحد يعمل لدى آرش جانارد أن يصبر على نقص تموينه • وخفض لوني عينيه ، فليس فى مقدوره أن يتصور كيف يستطيع زنجى أن يكون أكثر شجاعة من كليم •• وقد مرت به لحظات كثيرة كهذه اللحظة تمنى فيها أن يتخلى عن أى شىء فى مقابل أن تكون له شخصية كليم وأن يكون فى مكانه •

ـ مشكلة كلبك يا لونى هى أنه ثقيل جدا على أقدامه •• ألا ترى أنها فكرة بارعة جدا نبدأ بها للتخفيف من حمله الثقيل ؟

وتذكر لونى ما قاله كليم هنرى عما سوف يفعله لو حاول آرش جانارد يوما أن يقطع ذيل كلبه •• كان لونى يعرف ، وكان كليم يعرف ، وكان كل شخص آخر يعرف أن ذلك يتيح لآرش الفرصة التى ينتظرها •• ان كل ما يريده آرش هو أن يتقدم كليم هنرى عن مكانه نصف بوصة فقط ، أو أن يكلمه كلمة سيئة واحدة ، وعليه البقية •• كان الجميع يعرفون ما الذى يعنيه آرش بهذا الكلام ، وخاصة اذا لم يستدر كليم على عقبيه ويهرب •• ولم يكن معروفا عن كليم بعد أن قضى خمسة عشر عاما فى البلد أنه يهرب من أى شخص •

ومال آرش الى أسفل وجذب ذيل نانسى بينما كان لونى يفكر فى كليم •• وتصرفت نانسى كما لو أنها حسبت أن آرش يلعب معها لعبة ما •• ادارت برأسها الى الخلف حتى تستطيع أن تبلغ يد آرش لتلعقها •• وضربها على أرنبة أنفها بمؤخرة المدية •

وقال وهو يزيد من قبضة يده على ذيلها : « انه كلب مرح جدا يالونى •• ولكن ذيله طويل جدا بالنسبة للكلاب التى فى حجمه » •

وابتلع لونى ريقه بصعوبة •

ـ انها رائعة فى اقتفاء أثر الارانب ، اننى •••

فقال آرش وهو يشحذ نصل مديته على ذيل الكلب : لونى •• بحق السماء ، اننى لم أر فى حياتى كلبا يحتاج الى ذيل فى مثل هذا الطول ليتعقب الارانب • انه طويل جدا •

وتطلع لونى فى أمل نحو دادلى سميث والآخرين ، لكن أحدا منهم لم يقدم له أى عون • لم يكن هناك جدوى من محاولة منع آرش لأنه لن

يدع شيئا يقف في طريقه اذا صمم على عمل ما • وكان لونى يعلم أنه اذا سمح لنفسه باظهار أى غضب أو ضيق فان آرش يطرده من المزرعة قبل مغيب شمس تلك الليلة •• كليم هنرى هو الشخص الوحيد الذى يستطيع مساعدته ، ولكن كليم ••

وانتظر الرجال البيض والسود فى ركنى محطة البنزين ليروا كيف يكون تصرف لونى •• كانوا جميعا يأملون أن يثيروا معركة من أجل كلبته •• لو كان هناك أحد يقوى مرة على منع آرش جانارد من بتر ذيل كلب لانتهت المشكلة ، لكن من الواضح أن لونى ، الذى هو شريك آرش فى الحصاد ، كان يخشى الكلام معه ، ربما يكون فى مقدور كليم هنرى ، فهو الوحيد الذى قد يحاول الوقوف فى طريق آرش ، حتى ولو كان هذا يعنى اثارة المتاعب •• وكان الجميع يعرفون أن آرش سيصر على طرد كليم خارج البلد ، أو ملء جسمه بالرصاص •

وقال آرش : أعتقد أن كل شىء على ما يرام بالنسبة لك يا لونى ، يبدو أننى لا أسمع أية اعتراضات •

وتقدم كليم هنرى بضع خطوات ، ثم توقف •

وضحك آرش ، وهو يراقب وجه لونى ، ويهز نانسى هزة عنيفة • وعوت الكلبة في ألم ودهشة لكن آرش أسكتها بركلة فى بطنها •

وانتفض لونى • لم يكن يحتمل أن يرى أحدا يضرب كلبته هكذا •

ــ مستر آرش ، أنا •••

وأصابه احتقان فى حلقه بضع دقائق ، وكان عليه أن يفتح فمه واسعا محاولا التنفس •• وكان الرجال البيض الآخرون صامتين حوله•• ليس هناك من يجب أن يشاهد كلبا يركل فى بطنه بهذه الطريقة •

كان فى مقدور لونى أن يرى الطرف الآخر من محطة البنزين من جانب عينيه • ورأى زنجيين يتقدمان من خلف كليم ويجذبانه من « العفريتة » وبصق كليم على الارض ، بين قدميه المفتوحتين ، ولكنه لم يحاول أن يخلص نفسه منهما •

قال آرش وهو يبصق : حيث انى لم أسمع هناك اعتراضات أرى أن من الصواب المضى فى قطع ذيلها •

وامتدت رأس لوني الى الامام ، وكل ما استطاع أن يراه من نانسي هو قدماها الخلفيتان ٠٠ كان قد جاء ليطلب قطعة من لحم الخنزير وشيئا من العسل أو أى شيء ٠٠ وهو الآن لا يعرف اذا كان فى استطاعته أن يقوى على طلب نصيبه من الطعام ، فضلا عن مدى ما أصبحوا عليه من الجوع فى البيت ٠

قال آرش : لقد تعودت أن أسأل الشخص أولا ، أنا لا أرغب فى قطع ذيلها اذا كان لدى الشخص أية اعتراضات ٠ فليس هذا من الصواب ٠٠ لا ، يا سيدى ، لا يكون هذا عدلا ولا انصافا ٠

وارتفعت قبضة آرش أكثر على ذيل الكلب ووضع نصل المدية فوقه على مبعدة بوصتين أو ثلاث من عجيزته ٠٠ وبدا لأولئك الذين كانوا يرقبون الموقف كما لو أن فم آرش يسيل ماء ، لأن عصير الطباق بدأ يتساقط من جانبى شفتيه ٠ فرفع ظهر يده ومسح فمه ٠

وأقبلت سيارة مدمدمة فى الطريق وسط التراب الاحمر الكثيف ٠ وتطلع اليها الجميع وهى تمر لمعرفة من بداخلها ٠

ولمحها لوني ، ولكنه لم يكن يستطيع النظر اليها طويلا ٠٠ وسقط رأسه الى أسفل مرة أخرى حتى شعر بذقنه الحاد تغرز فى صدره ٠٠ وتساءل فى هذه اللحظة عما اذا كان آرش قد لاحظ مدى الهزال فى وجهه ٠٠

ـ اننى أحتفظ بكلبين أو ثلاثة من هذا النوع حول هذا المكان ٠

قال آرش وهو يشحذ نصل مديته على ذنب الكلبة وكأنه جلدة سن أمواس حتى بعثت حركته الابتسام على وجوه الرجال المتجمعين حوله ٠٠ واستطرد قائلا : ولكننى لم أستطع أبدا أن أعثر على معنى لوجود ذيل طويل لمثل هذه الكلبة ٠ انه فقط يعرقلها اذا ما أرسلتها لصيد خنزير أو أرنب لغدائى ٠

وجذب بيده اليسرى ودفع بيده اليمنى واذا به قد بتر ذيل الكلبة فى سرعة وبساطة كما لو كان يقطع عود شجرة صفصاف فى المرعى ليسوق به البقر الى البيت ٠٠ وقفزت الكلبة الى الامام وقد تحرر ذيلها الى أن أصبحت بعيدة عن متناول آرش ، وأخذت تعوى عواء عاليا جدا حتى ليمكن سماعه على بعد نصف ميل ٠ وتوقفت نانسى مرة ونظرت خلفها الى آرش ، ثم قفزت الى منتصف الطريق وراحت تقفز وتتلوى فى حلقات ٠٠

وكانت فى أثناء هذا الوقت كله تعوى وتعض طرف ذيلهـا الذى ينزف بالدم ··

ومال آرش الى الخلف ويده تلف بالذيل المبتور فى الهواء بينمـا يمسح نصل مديته فى نعل حذائه ·· ولاحـــظ كلبة لونى تدور حول نفسها فى حلقات فى التراب البنى ··

لم يكن لدى أحد شىء يقوله فى هذه اللحـظة · وحاول لونى أن يتجنب رؤية كلبته تتعذب، وأجبر نفسه على عدم النظر الى كليم هنرى·· ثم تساءل وعيناه مغلقتان : لماذا بقى فى مزرعة آرش جانارد كل تلك السنوات الماضية ، يشترك فى الحصاد من أجل مجرد العيش على نصيب ضئيل من الغذاء ، ويزداد هزالا على هزال طوال الوقت ·· لقد أدرك كم كان كليم صادقا حينما قال عن اجراء آرش ان وجوههم تصبح من الحدة بحيث تصلح لتشق نعوشهم ·· وتحركت يداه نحو ذقنه قبل أن يدرك تحركهما ، وســـقطت يده عندما شعر بعظـــام فكه وعضلتى وجنتيه البارزتين ··

ولما كان جائعا ، فقد كان يعرف أن آرش حتى لو صرف له بعض الاغذية ساعتئذ ، فلن يكون هناك مايكفى لاطعامهم فى الاسبوع القادم·· كانت زوجته « هاتى » على وشك أن تنهار من الجوع والعمل فى الغيطان، وكان والده « مارك نيوصم » الذى أصيب بالصمم منـــذ عشرين عاما ، يسأله دائما عن السبب فى عدم وجود غذاء كاف فى البيت ليحظوا بوجبة دسمة ·· وسقطت رأس لونى الى الامام أكثر قليلا ، وشعر أن عينيـــه صارتا مبللتين ·

وآلمه جدا ضغط ذقنه الحادة على صدره فاضطر الى رفع رأســـه أخيرا حتى يخفف من ألمه ·

وكان أول ما وقعت عليه عيناه عندما رفع رأسه هو آرش جانارد وهو يلف ذيل نانسى فى الهواء بيده اليسرى ·· كان آرش جانارد يملك فى منزله صندوقا مليئا بأذناب الكلاب ·· كان يقوم بقطع الاذناب منذ زمن طويل لا يتذكره أحد ، وقد جمع فى أثناء كل تلك السنين مجمـــوعة يفخر بها حتى انه يحتفظ بالصندوق مغلقا ويعلق المفتاح فى دوبارة حول رقبته وفى فترة بعد الظهر أيام الآحاد عندما يكون هناك مجموع من الناس يمضـــون الوقت فى الفناء الداخلى ويتبادلون الحكايات ، يعرض آرش

عليهم الصندوق ، ويذكر اسم كل ذيل من الذاكرة مباشرة كما لو كان هناك على الذيل تيكيت ملصقا به ٠

وغادر كليم هنرى محطة البنزين ومشى وحده منحدرا فى الطريق المؤدى الى المزرعة ٠٠ كان بيت كليم هنرى ضمن مجموعة أكواخ زنجية خلف البيت الكبير الذى يملكه آرش ، وكان يمر ببيت لونى وهو فى طريقه الى سكنه ٠ وكان لونى على وشك أن ينهض ويترك مكانه عندما رأى آرش ينظر اليه ٠٠ ولم يعرف ما اذا كان آرش ينظر الى وجهه الهزيل ، أو أنه كان يراقبه ليرى ما اذا كان سينهض وينحدر فى الطريق مع كليم ٠

وذكرته فكرة مغادرة المكان بالسبب الذى جاء من أجله ٠٠ كان عليه أن يحصل على بعض الغذاء قبل موعد العشاء فى تلك الليلة ـ بغض النظر عن ضآلة الكمية ٠

ـ مستر آرش ، أنا ٠٠٠

وحملق اليه آرش دقيقة ، وبدا كما لو أنه قد تحول كلية لسماع صوت غريب لم يسمعه قبل هذه اللحظة ٠٠

وعض لوني على شفتيه ، وتساءل عما اذا كان آرش سيقول شيئا عن مدى ما يبدو عليه من هزال وجوع ٠٠ ولكن آرش كان يفكر فى أمر آخر ٠٠ فقط خبط بكفه على رجله وانفجر ضاحكا ٠

ثم قال وهو يلف ذيل نانسى على شكل كرة ويضعها فى جيبه ٠ « اننى أتمنى فى بعض الاحيان أن يكون للزنوج أذيال اذن لكان لدى كوم كبير من أذيال الزنوج المقطوعة وتكون أفضل من أذيال الكلاب ٠٠ ولكان هناك الكثير منها مما يمكن بتره لأى أمر » ٠

وضحك دادلى سميث وشخص آخر خلفه ضحكة قصيرة ثم مالبث أن ماتت الضحكة فجأة كما انبعث فجأة ٠

أما الزنوج الذين سمعوا آرش فقد حكوا اقدامهم فى التراب وتحركوا الى الخلف ٠٠ وما هى الا دقائق معدودات حتى لم يكن هناك أحد فى محطة البنزين ٠٠ مضوا يصعدون فى الطريق المجاور للبناية الخشبية الحمراء حتى اختفوا عن البصر ٠

ونهض آرش وتمطى ٠ كانت الشمس تنحدر نحو الغرب ٠ ولم يعد

الجو ملائما بسبب هواء أكتوبر · وقال : « حسنا ، سأمضى الى المنزل لاتناول بعض العشاء » ·

ومشى ببطء الى منتصف الطريق وتوقف لينظر الى نانسى وهى تتراجع بجانب الحفرة ·

وسأل : هل هناك أحد يمشى معى فى نفس الطريق ؟ لونى ، ماذا دهاك ؟ أنت ذاهب الى منزلك للعشاء أليس كذلك ؟

ـ مستر آرش ، أنا ···

ووجد لونى نفسه يقفز على قدميه ·· كان أول ما فكر فيه هو أن يطلب قطعة لحم خنزير وشيئا من العسل ، وربما بعض القمح المطحون ، ولكن عندما فتح فمه ، أبت الكلمات أن تخرج منه ·· وخطا بضع خطوات الى الامام وهز رأسه ، ولم يعرف ما الذى يقوله لآرش أو يفعله لو قال له : « لا » ·

وقال آرش وهو يدير ظهره ويمضى فى طريقه : ان هاتى ستبحث عنك ·

ومد يده الى جيبه الخلفى وأخرج ذيل نانسى · وأخذ يلفه فى الهواء وهو ينحدر فى الطريق متجها نحو البيت الكبير الذى يتراءى عن بعد ·

ومضى دادلى سميث الى داخل محطة البنزين ، وانصرف الآخرون ·

وبعد أن ابتعد آرش مئات الياردات ، جلس لونى فى تثاقل على الصندوق الموجود بجوار أنبوبة الغاز حيث نهض عندما وجه آرش الحديث اليه · جلس بتثاقل ، كتفاه مقوستان ، ذراعاه متدليتان بين رجليه المتمددتين ·

لم يدر لونى كم من الوقت مضى عليه فى هذه الجلسة وعيناه مغلقتان ، ولكنه عندما فتحهما ، رأى نانسى راقدة بين قدميه ، تلعق ذيلها المبتور ·· وبينما كان يرقبها شعر بطرف ذقنه الحاد يحز فى صدره مرة أخرى · وفجأة انغلق الباب الذى بجواره بشدة ، وبعد دقيقة سمع دادلى سميث ينصرف من محطة البنزين فى طريقه الى البيت ·

ـ ٢ ـ

كان لونى قد نام نوما متقطعا عدة ساعات عندما وجد نفسه فجأة متيقظا يقظة تامة · وهزته « هاتى » مرة أخرى ورفع جسده على مرفقه

وحاول أن ينظر من خلال ظلام الغرفة • وبرغم عدم معرفته كم الساعة وقتئذ ، فانه كان فى مقدوره أن يحدد بأنه ما زالت هناك ساعتان تقريبا حتى تشرق الشمس •

وصاحت هاتى مرة أخرى وهى ترتجف من برد الليل القارس : لونى ، لونى • ان والدك ليس بالمنزل •

واعتدل لوني فى السرير •

وسأل : كيف عرفت أنه غير موجود ؟

ــ كنت أرقد هنا فى تمام يقظتى منذ رقدت فى السرير ، وسمعته وهو يخرج • لقد كان بالخارج كل هذا الوقت •

قال لونى وهو يستدير محاولا النظر خلال نافذة حجرة النوم : ربما خرج يتمشى قليلا دون أن يبتعد عن المنزل ؟

أجابته هاتي فى اصرار : انى أعرف ما أقوله يا لونى • لقد ذهب بابا بعيد جدا •

وجلس كلاهما دون أن ينبسا بشيء عدة دقائق وهما ينصتان علهما يستطيعان سماع مارك نيوصم •

ونهض لونى وأشعل مصباحا ، وارتعش وهو يرتدى قميصه وعفريتته وحذاءه وعقد رباط حذائه عقدة صعبة لعدم تمكنه من الرؤية فى الضوء الخافت •• وكانت الدنيا خارج النافذة حالكة الظلمة تقريبا ، وشعر لونى بهواء أكتوبر البارد يلفح وجهه •

قالت هاتى وهي تزيح الغطاء عنها وتبدأ فى النهوض : سأذهب للبحث عنه •

لكن لونى ذهب الى السرير وسحب الغطاء عليها ودفعها الى النوم فى مكانها ثانية •

وقال : حاولى أن تنامى قليلا يا هاتى •• لا يمكنك أن تظلى ساهرة طوال الليل •• سأذهب أنا لاحضار بابا •

وترك هاتي ، ونفخ فى المصباح فانطفأ ، وراح يتعثر خلال القاعة المظلمة ، متحسسا طريقه الى الفناء الامامى عن طريق لمس الحائط بيديه •

وعندما وصل الى الفناء ، ظل مدة لا يكاد يستطيع أن يرى ما أمامه ، ولكن عينيه صارتا أكثر تعودا على الرؤية فى الظلام ٠٠ وتوقف دقيقة منصتا ٠

وبعد أن تحسس طريقه فى الفناء أسفل الدرج ، مشى حول ناصية البيت ثم توقف لينصت قبل أن ينادى والده ٠

ونادى بصوت مرتفع : بابا ٠٠ بابا !

وتوقف تحت نافذة حجرة النوم عندما تنبه الى ما كان يفعله ٠

وقال لنفسه موبخا : من السخف أن أكون هنا أنادى هكذا ٠٠ ان بابا لن يسمعنى حتى ولو كان صوتى كالرعد ٠

وسمع صرير السرير ٠٠

وقالت هاتى من خلال النافذة : لقد ذهب بعيدا حتى مفترق الطرق أو أكثر ٠

فقال لها لونى : نامى الآن ، حاولى أن تنالى قسطا من الراحة ياهاتى ، سوف أعود به حالا ٠

كان فى مقدوره أن يسمع نانسى تحت البيت تهرش جسمها من البراغيث ، ولكنه كان يعلم أن حالتها لا تسمح لها بمساعدته فى البحث عن مارك ، وقد تمضى عدة أيام قبل أن تشفى من صدمة فقد ذيلها ٠

ولم تستطع هاتى أن تصمت فقالت : لقد ذهب منذ مدة طويلة ٠

قال لونى : هذا لا يغير من الامر شيئا ٠ سأجده عاجلا أو آجلا ٠٠ والآن ستنامين كما قلت لك يا هاتى ٠

ومشى لونى نحو الجرن مرهفا أذنيه الى أى صوت ٠ وهنـــاك عند البيت الكبير سمع الخنازير تزوم وتشخر ، وود لو تسكت حتى يتمكن من سماع أصوات غيرها ٠٠ وكانت كلاب آرش جانارد تعوى من حـين لآخر ، ولكنها لم تكن تصدر ضجيجا أكثر مما اعتادت كل ليلة ، وكان متعودا على عوائها ٠

وذهب لونى الى الجرن ، ونظر بداخله وخارجه ٠ وبعـــد أن دار حوله مشى فى الحقل بعيدا بمقدار امتداد القطن ٠٠ كان يعرف أنه لاجدوى ٠٠ ولكنه لم يكن يستطيع أن يمنع نفسه من مناداة والده من وقت لآخر ٠

ـ بابا ٠٠ قالها محاولا اختراق الظلام ٠٠

ومضى بعيدا داخل الحقل ٠

« والآن ٠٠ ترى أى مكروه أصاب أبى ؟

وتوقف وهو يفكر أين يبحث بعد ذلك ٠

وبعد أن عاد الى الفناء الأمامى ، بدأ يشعر بالقلق لأول مرة ٠٠ لم يتصرف مارك خلال الاسبوع الماضى تصرفا يشذ عن المعتاد ، ولــكن لونى يعرف أنه كان قلقا جدا بالنسبة للطريقة الشحيحة التى يوزع بها آرش جانارد المؤن المستحقة ٠ حتى لقد قال مارك انهم جميعا يموتون جوعا خلال ثلاثة أشهر أخرى ، لو استمروا على هذه النسبة الضئيلة من الغذاء ٠

غادر لونى الفناء وانحدر فى الطريق نحو أكواخ الزنوج ٠٠ وعندما وصل الى بيت كليم ، عرج عليه ومشى فى الممر المؤدى الى الباب ، وطرق عدة مرات وانتظر ٠ لم يرد عليه أحد فطرق بشدة اكثر ٠٠ وجاء صوت كليم من سريره :

من هذا ؟

أجاب لونى :

أنا ٠ جئت لمقابلتك دقيقة واحدة ياكليم ٠ اننى منتظرك بالفنــاء الأمامى بالخارج ٠

وجلس ينتظر كليم حتى يرتدى ملابسه ويخرج ٠٠ وبينمــا كان ينتظر ، أرهف أذنيه لالتقاط أى صوت قد يكون فى الهواء ٠

وبلغه عبر الحقول من ناحية البيت الكبير أصوات الخنازير المعلوفة وهى تشخر وتنخر ٠

وخرج كليـــم واغلق الباب خلفه ٠٠ وتوقف لحظة على عتبة الباب يخاطب زوجته فى سريرها قائلا لها ألا تقلق عليه وأنه سيعود حالا ٠

وسأل كليم وهو يتقدم نحو الفناء :

من هذا ؟

ونهض لونى وقابل كليم فى منتصف الطريق ٠

وسأله كليم وهو يزرر عفريتته :

ما الأمر ؟

قال لونى :

بابا ليس نائما فى سريره ، وهاتى تقول انه خرج من المنزل طوال الليل تقريبا ٠٠ وقد خرجت الى الغيط ، وحول الجرن ، ولكنى لم أستطع أن أعثر له على أثر فى أى مكان ٠

كان كليم فى هـذه اللحظة قد انتهى من تزرير عفريتته وأخذ يلف سيجارة ٠ وانحدر ببطء فى الممر متجها نحو الطريق ٠٠ كانت الدنيا ما زالت مظلمة ، وربما تمضى ساعة على الأقل قبل ان يشسح الفجر أى ضوء يخفف من هذه الظلمة ٠

قال كليم :

ربما كان جائعا جدا الى درجة انه لم يستطع أن يمكث فى الفراش أكثر من ذلك ٠٠ عندما رأيته بالامس ، قال انه لا يعرف ما آذا كان فى استطاعته أن يعيش أكثر من ذلك ٠٠ كان يبدو أن جلده وعظامه لا يمكن أن تنكمش وتضمر أكثر مما صارت عليه ٠

لقد طلبت من آرش فى الليلة الماضية بعد العشاء أن يمنحنى شيئا من التموين ـ قطعة صغيرة من لحم الخنزير وقليلا من عسل النحل٠٠قال لى: انه سوف يعمل على أن أحصل على شىء من الطعام صبيحة اليوم ٠

ـ لماذا لم تطلب منه أن يعطيك نصيبك الكامل من الغذاء أولايعطيك شيئا على الاطلاق ؟ فاذا عرفت أنك لن تحصل على شىء اطلاقا ، كان فى مقدورك أن ترحل وتبحث عن رجل أفضل تعمل معه ، أليس فى مقدورك ذلك ؟

قال لونى:

لقد ظللت مخلصا لارش جانارد منذ زمن طويل ٠٠ وانى لاكره أن أنسحب وأتركه هكذا ٠

نظر كليم الى لونى ، لكنه لم يقـل شيئا ٠٠ وعرجوا على الطريق المؤدى الى البيت الكبير ٠٠ كانت الخنازير ما زالت تشخر وتنـخر فى حظيرتها ، وأقبل أحد الكلاب آرش من ناحية صف قطن بجوار الممر وراح يشم أحذيتهما ٠

قال كليم: ان خنازيرهم السمينة هذه تجد دائما كفايتها من الطعام، ليس هناك من بينها من لم يبلغ وزنه سبعمائة رطل الآن ، وكل يوم يتزايد حجمها ٠ والى جانب التهامها لكل ما يلقى اليها ، كثيرا ماتفترس الدجاجات التى تذهب الى هناك تنبش عن الحب ٠

وأنصت لونى الى شخير الخنازير فى أثناء سيره مع كليم فى الممر المؤدى الى البيت الكبير ٠

وقال لونى : « يخيل لى أن من الأفضل أن نوقظ آرش ليساعدنا فى البحث عن بابا ٠٠ لا أحب أن أوقظه ، ولكنى أخشى أن يكون أبى قد ضل الطريق فى المستنقع وفقد الى الأبد ٠٠ ليس فى مقدوره أن يسمح حتى الرعد ٠٠ لن أستطيع أن أعثر عليه أبدا فى ذلك التيه اذا كان قد ذهب الى هناك ٠

وقال كليم شيئا ما من تحت أسنانه ، وذهب ناحية الحظيرة قبل أن يصل لونى الى هناك ٠

ـ الأفضل أن تأتى هنا بسرعة ٠ قال كليم هذا وهو يتلفت على لونى ٠

وأسرع لونى ناحية حظيرة الخنازير ٠٠ ووقف وتسلق سورها المصنوع من الخشب والسلك حتى منتصفه ٠٠ لم ير شيئا فى بداية الأمر ، ولكنه استطاع بالتدريج أن يرى مجموعة الخنازير السمينة وهى تتحرك فى الجانب الآخر من الحظيرة ٠ كانت تنهش بعضها وتزوم كأنها كلاب صيد جائعة أطلقت على أرنب مقتول ٠

وأخذ لونى يتسلق الى أعلى الحاجز ، ولكن كليم أمسك به وجذبه الى أسفل قائلا له « لا تقترب من حظيرة الخنازير بهذه الطريقة ، والا مزقتك اربا اربا ، انها مفترسة ٠٠ انها تتعارك على شىء ما » ٠

وجرى كلاهما حول الحظيرة حتى وصلا الى الجانب الموجود فيه الخنازير ٠ وتحت أقدامها على الأرض لمح لونى كتلة سوداء ملطخة ببقع بيضاء ٠ استطاع أن يراها لحظة فقط ، لان أحد الخنازير داس عليها ٠

فتح كليم فمه وأغلقه عدة مرات قبل أن يجد القدرة على قول أى شىء ٠ وقبض على ذراع لونى وهزه ثم قال : هل يبدو كما لو كان والدك ٠٠ أقسم يا لونى أن الأمر يبدو كذلك ٠

وظل لونى دون أن يستطيع تصديق مايقوله ٠٠ وتسلق الى أعلى الحاجز وراح يركل الخنازير بقدميه ، محاولا ابعادها لكنها لم تعره اهتماما ٠

وبينما كان لونى معلقا هناك ، ذهب كليم الى سقيفة العربة ، ورجع بعودين من الشجر حصل عليهما بطريقة ما وسط الظلام ٠ وناول أحدهما

الى لونى ، بعد أن راح يحركه نحوه حتى حول انتباهه عن الخنازير الى العصا وأخذها ٠

ووثب كليم على الحاجز وبدأ يحرك عود الشجر نحو الخنازير ٠٠ ونزل لونى الى جانبه يصرخ فيهـــا ٠٠ وتحـول أحد الخنازير الى لونى ونهشه ، وضربه كليم على ظهر رقبته بقوة كافية لابعاده مؤقتا ٠

وفى هذه اللحظة أدرك لونى ما حدث ٠٠ وجرى الى كتلة الخنازير ، وأخذ يركلها بحذائه الثقيل الجامد ويضربها على رءوسها بعود الشجر الحاد الطرف ٠٠ وفجأة شعر بنهشة فى رجله ، ونظر الى أسـفل فوجد أحد الخنـازير يعض باطن سـاقه ٠٠ وكان أمامه متسع من الوقت لضرب الخنزير وابعـــاده قبـل أن تتمزق قدمه ٠٠ كان يعرف أن معظم قماش البنطلون الذى يغطى رجله قد تمزق ، لانه شعر بهواء الليل يلفح بطن ساقه العارية الرطبة ٠

وراح كليم يعمل على ابعاد الخنازير الى الخلف ٠٠ لم يكن هناك وسيلة أخرى لعمل أى شىء ٠ كانت الخنـازير ملتفة حولهما فى حلقة مزمجرة ٠٠ وكان على كل منهما أن يظل قابضا على عود الشجر ويحركه الى الامام والى الخلف طوال الوقت حتى تظل الخنازير بعيدة عنهما ٠٠ وأخيرا انحنى لونى على الارض وقبض على رجل مارك ، ثم قام يحمل والده الى الحاجز ورفعه بمساعدة كليم الى الجانب الآخر ٠٠ كانا يلهثـان الى درجة انهما لم يتمكنا للحظة أن يقولا أو يفعـلا شـيئا آخر ٠٠ وكانت الخنازير المزمجرة السمينة على الحاجز ، تعض الخشب والسلك وتحدث ضجة أعلى مما سبق ٠

وبينما كان لونى يبحث فى جيـوبه عن عود ثقاب ، أشـعل كليم عودا ٠٠ وقرب العود المشتعل من وجه مارك ٠

وحملق كلاهما دون تصديق ، ثم أطفأ كليم عود الثقاب ٠٠ ولم ينبسا بشىء وهما يحملقان بعضهما فى بعض فى الظلام ٠

وابتعد كليم عدة خطوات ، ثم استدار عائدا الى جانب لونى ٠

قال كليم وهو يجلس على الارض : انه هو ٠

قال لونى : أظن ذلك ٠٠ لم يكن فى مقدوره التفكير فى شىء آخر يقوله فى هذه اللحظة ٠

جلسا على الارض ، كل منهمـا على أحد جانبى مارك ، ينظران الى

الجسد ، لم تكن هناك أية علامة على الحياة في الجسد المسجى أمامهما منذ لمساة أول مرة ٠٠ وكان الوجه والعنق والمعدة قد التهمت التهاما تاما ٠

وقال كليم بعد لحظة : الافضل أن تذهب لايقاظ آرش جانارد ٠٠

قال لونى : لماذا ؟ انه لايملك شيئا الآن ٠٠ لقد فات أوان المساعدة ٠

وأصر كليم على كلامه قائلا : هذا لا يغير من الامر شيئا ٠٠ والافضل أن تمضى وتوقظه وتدعه يرى ما ينبغى أن يراه ٠٠ انك اذا انتظرت حتى الصباح ، ربما فكر فى أن يقول ان الخنازير لم تفعل ذلك ٠٠ الآن هو الوقت المناسب لايقاظه حتى يرى ما ارتكبته خنازيره ٠

واستدار كليم ونظر الى البيت الكبير ٠٠ لكن منظر البيت الاسود وسط السماء الداكنة جعله يتردد ٠

ـ ان الرجل المستأجر الذى لا يتقاضى سوى نصيب ضئيل من التموين ينبغى أن يجلس ويرقب ذلك البيت حتى ينمحى ويدفن ٠

نظر لونى الى كليم فى خوف ٠٠ كان يعلم ان كليم على صواب ، لكنه كان يخشى أن يسمع زنجيا يتكلم مثل هذا الكلام عن رجل أبيض ٠

قال لونى : لا ينبغى أن تتكلم هكذا عن آرش ٠٠ انه نائم الآن فى سريره ، لم يكن يملك شيئا ازاء ما حدث ٠٠ لم يكن يملك شيئا أكثر مما أملك أنا لمنع هذا الامر ٠

ضحك كليم ضحكة قصيرة ، وألقى بعود الشجر على الارض بين قدميه ٠٠ وبعد أن تركه ملقى هناك لحظة ٠٠ التقطه وأخذ يضرب به الارض ٠

ونهض لونى على قدميه فى بطء ٠٠ لم يسبق أن شاهد كليم يتصرف هكذا من قبل ، ولم يعرف ماذا يعنى بذلك ، وابتعد دون أن يتفوه بشىء ومشى بثبات الى البيت فى الظلام ليوقظ آرش جانارد ٠٠

كان من الصعب أن يستيقظ آرش ، وحتى بعد أن استيقظ ، لم يجد فى نفسه الحماس للنهوض ٠٠ كان لونى يقف بالخارج عند نافذة حجرة النوم ، بينما كان آرش يرقد فى السرير على بعد ستة أو ثمانية أقدام ٠٠ وكان فى مقدور لونى أن يسمعه وهو يلعن ويبرطم ٠

قال آرش : من الذى دفعك الى المجىء وايقاظى من النوم فى منتصف الليل ؟

ـ كليم هنرى موجود هنا بالخارج ، وقد قال : انك ربما تحب أن يكون لديك علم بالموضوع ٠

تقلب آرش فى فراشه ، ضاربا الوسادة بقبضة يده ٠

ـ قل لكليم هنرى اننى قلت انه سوف يجد نفسه فى يوم من الايام منقلبا من الداخل الى الخارج مثل كم المعطف ٠

وانتظر لونى فى عناد ٠٠ كان يعرف أن كليم على صواب فى اصراره على ايقاظ آرش وحضوره ليرى ما حدث ٠٠ وكان لونى يخشى أن يعود الى الحظيرة ويخبر كليم برفض آرش المجىء ٠٠ انه لا يدرى ماذا يمكن أن يحدث ٠ ولكن كان لديه احساس أن كليم قد يدخل غرفة النوم ويجذب آرش من سريره ، ولم يكن يود التفكير فى حدوث شىء من هذا القبيل ٠

وزعق آرش : أما زلت واقفا هناك يا لونى ؟

ـ أجل تماما أنا هنا ٠ يا مستر آرش ٠ أنا ٠

ـ « لو لم أكن نعسان جدا ، لكنت خرجت وتناولت عصا و ـ لا أدرى ما الذى كنت أتورع عن عمله ! »

التقى لونى بآرش على العتبة الخلفية ٠٠ لم يتكلم آرش معه وهما فى الطريق الى حظيرة الخنازير ٠٠ ومضى آرش فى تثاقل ، دون أن ينتظر حتى ليرى ما اذا كان لونى يتبعه ٠٠ وألقى المصباح الذى يحمله آرش أشعة طويلة خافتة من الضوء الاصفر على الارض ٠٠ وعندما وصلا الى المكان الذى ينتظر فيه كليم بجانب الجثة ، لمع وجه الزنجى فى الليل مثل نصل المحراث المصقول جدا ٠

وصرخ آرش فيهما معا : على أية حال ، ما الذى كان يفعله مارك فى حظيرة خنازيرى بالليل ؟ »

ولم يرد كليم ولا لونى ٠٠ وحدق آرش فيهما لعدم ردهما ٠٠ ولكنه بالرغم من عدد المرات التى نظر فيها اليهما ، كانت عيناه ترتدان فى كل مرة وتحملقان فى جسد مارك نيوصم الممزق عند قدميه على الارض ٠

وقال آرش أخيرا : ليس هناك ما يمكن عمله الآن ٠٠ ليس أمامنا سوى الانتظار حتى الصباح ثم استدعاء الحانوتى ٠٠ وابتعد بضع خطوات ، ثم استطرد قائلا : من الواضح انه كان بامكانك الانتظار حتى الصباح ٠ ليس هناك معنى لايقاظى ٠

وأدار لهما ظهره ونظر الى كليم من جانب عينه ‥ ووقف كليم منتصبا وواجهه بنظرة ثابتة فى عينيه ٠

فقال آرش : ماذا تريد ، يا كليم هنرى ؟ من الذى دفعك الى المجىء الى منزلى فى منتصف الليل ؟ لا أريد أن يأتى الزنوج الى هنا الا اذا استدعيتهم أنا ٠

أجاب كليم : لم أحتمل رؤية انسان تلتهمه الخنازير ، ولا أفعل شيئا ٠

فقال له آرش : لا تتدخل فى شئون غيرك ‥ وعندما تخاطبنى انزع قبعتك ، والا ندمت على ذلك ‥ لن يكلفنى شيئا أن أجعلك تصلح طريقتك ٠

وتراجع لونى الى الوراء ‥ كان هناك شعور من التوتر يحيط بهما ‥ هكذا كانت تبدأ المعركة بين كليم وآرش دائما ‥ لقد شاهدها تبدأ بهذه الطريقة عشرات المرات من قبل ٠ فاذا مااستدار كليم وانصرف، لم يحدث شىء ، ولكنه فى بعض الاحيان كان يظل حيث هو يخاطب آرش كما لو كان رجلا أبيض تماما ٠

وود لونى ألا يحدث ذلك فى هذه المرة ٠ كان آرش قد جن جنونه لايقاظه فى منتصف الليل ، وكان لونى يعرف أن آرش لا يقف عند حد اذا ماجن جنونه من أحد الزنوج ٠ ان أحدا لم يره يقتل زنجيا ، ولكنه قال : انه فعل ذلك ، وأخبر الناس بانه لا يتورع عن أن يفعل ذلك ثانية » ٠

قال كليم وهو يحدق النظر فى آرش : حسنا ، انك تعرف كيف جاء لتأكله الخنازير هكذا ٠

ودار آرش حول نفسه بسرعة ٠

ــ هل تخاطبنى أنا ‥ ؟

ورد عليه كليم مقررا : سألتك هذا ٠

صاح آرش : عليك اللعنة ، يا ذا الدم الاصفر ‥

وأطاح بالمصباح ناحية رأس كليم ، وحاول كليم أن يتفاداه ــ لكن أسفل المصباح أصاب كتفه ، وتحطم قطعا متناثرة ٠ وآندلق زيته على الارض ، واشتعل فى الهواء بفعل الفتيلة الموقدة ‥ وكان كليم محظوظا اذ لم يندلع الزيت فى وجهه أو على عفريتته ٠

قال كليم : والآن ٠٠ انظر هنا ٠٠

ففال آرش وهو يندفع نحوه : انت أيهـا الزنجى الاصفر الدم ، سأعلمك كيف ترد على ، لقد صرت فى الآونة الاخيرة متعاليا على وضعك٠٠ لقد سكت عليك طويلا ، ولكنى لن أفعل ذلك بعد الآن ٠

وقال لونى ٠ وهو يخطو الى الامام حتى أوشك أن يكون بينهما : مستر آرش ، أنا ٠٠ لكن أحدا لم يسمعه ٠

وتراجع آرش وهو يرقب الكيروسين الملتهب على الارض ٠

قال كليم ، وهو ينبت قدميه فى الارض : انت تعرف جيدا لماذا وقع مارك بين أسنان الخنازير السمينة ٠٠ لقد نال منه الجوع الى حد انه اضطر الى النهـوض من السرير فى منتصف الليـل والمجىء الى هنا فى الظلام محاولا البحث عن شىء يأكله ٠٠ ربما كان يحاول العثور على كشك التدخين ٠٠ ومهما يكن فهذا لا يغير من الامر شيئا، فقد كان خاضعا لنقص التموين ، مثله مثل أى شخص آخر يعمـل لديك ، وكان من كبر السن بحيث انه لم يكن يعرف مكانا يبحث فيه عن الطعام غير هذا المكان ٠٠ انت تعرف جيدا وتماما ، انه هكذا ضل طريقه هنا فى الظلام وسقط فى حظيرة الخنازير ٠

وتلاشى تماما ضوء الكيروسين ٠٠ وعلى ضوء الوهج الاخير الباهت ، انحنى آرش الى أسفل وتناول عود الشـجر الذى كان ملقى على الارض حيث أسقطه لونى ٠

رفع آرش عود الشجر فوق رأسه وهوى به على كليم بكل قوته ، وتفادى كليم الضربة ؛ لكن آرش تراجع الى الوراء بسرعة ووجه ضربة أخرى الى ذراع كليم فى أعلى المرفق قبل أن يستطيع تفاديها ٠ وسقطت ذراع كليم الى جانبه ، متدلية بلا حياة ٠

وصاح آرش : لعنة الله عليك أيها الزنجى الاصفر الدم ! ها قد حان وقتك ، أيها اللقيط يا أسود ! كنت أنتظر الفرصة لأعطيك درسا٠٠ وسيكون هذا هو الدرس الذى لن تنساه أبدا ٠

وتحسس كليم الارض بقدميه حتى عثر على عود الشجر الآخر ٠٠ فمال عليه وتنـاوله ٠٠ ورفعه ولم يحـاول أن يضرب به آرش ، ولكنه أمسك به فى مواجهته حتى يمكنه أن يصد به ضربات آرش الموجهة الى رأسه ٠٠ وظـل واقفـا فى مكانه ، دون أن يتزحزح بوصة واحدة أمام آرش ٠

صاح آرش : الق هذه العصا ٠

واحتج كليم قائلا : أنا لن أقف هنا وأدعك تضربنى هكذا ٠

فقال آرش وقد تقلص فمه : يا لله ، ذلك كل ما كنت أريد أن أسمعه ٠٠ أيها الزنجى بحق الشيطان قد حانت ساعتك !

واندفع مرة أخرى نحو كليم ، لكن كليم استدار وجرى ناحية الجرن ٠ وتعقبه آرش بضع خطوات ثم توقف ٠٠ وألقى بعصاه جانبا واستدار وجرى عائدا الى البيت ٠

وذهب لونى الى السور وحاول أن يفكر فيما ينبغى أن يفعله ٠٠ كان يعرف انه لا يستطيع أن يقف علانية فى صف أحد الزنوج ، حتى ولو كان كليم قد ساعده ، وخاصة بعد أن خاطب آرش بالطريقة التى كان يود هو أن يخاطبه بها ٠٠ انه رجل أبيض ، ومن أجل المحافظة على حياته لم يكن فى مقدوره التفكير فى الوقوف ضد آرش ، بغض النظر عما حدث ٠

وفجأة انبعث ضوء من خلال احدى نوافذ المنزل ، وسمع آرش يصيح فى زوجته لايقاظها ٠

وعندما رأى لونى زوجة آرش تذهب ناحية التليفون ، اتضح له ما سوف يحدث ٠ كانت تستدعى الجيران وأصحاب آرش ٠٠ انهم لن يتوانوا عن النهوض فى الليل عندما يعرفون ما حدث ٠

ومن الخارج خلف الجرن ، سمع لونى صوت كليم يناديه ٠٠ فترك الفناء ، وتحسس طريقه الى الخارج وسط الظلام ٠

وقال : « ما العمل يا كليم ؟ »

أجاب كليم : « أحسب أن ساعتى قد حانت ٠٠ ان آرش جانارد يتكلم بهذه الطريقة عندما يجن جنونه ٠٠ لقد تكلم بالطريقة التى تكلم بها يوم دفع جيم الى المستنقع ٠ ولم يعد جيم أبدا ٠ »

ــ « ان آرش لن يقدم على عمل كهذا معك يا كليم ٠ »

قالها لونى فى غضب ، ولكنه كان يعلم جيدا غير هذا ٠

ولم يتفوه كليم بشىء ٠

وقال لونى : « ربما كان من الافضل أن تنطلق ناحية المستنقعات حتى يغير رأيه ويهدأ غضبه ، ربما تصبح فى أمان يا كليم ٠ »

وشعر لونى بعينى كليم تتقدان وهو ينظر اليه ٠

وقال كليم : « لن يكون فى ذلك جدوى مالم تساعدنى ٠٠ هل تقف بجوارى ؟ »

وشعر لونى برجفة عندما أصبح معنى اقتراح كليم واضـــحا فى ذهنة ٠٠ كان ظهره الى جانب الجرن ، فاستند اليه بينما تتابعت أمام عينيه صفحات بيضاء وسوداء ٠

وأعاد كليم سؤاله : « ألن تقف الى جوارى ؟ »

قال لونى مترددا : « لا أعرف ماذا يقول آرش ازاء ذلك »

وخطا كليم مبتعدا بضع خطوات ، ووقف موليا ظهره الى لونى ونظر عبر الحقول الى الجهة التى يوجد بها منزله ٠

ثم قال وهو يستدير الى لونى : « أستطيع أن أذهب فى هذه البقعة الصغيرة من الغابة وأظل هناك حتى يملوا البحث عنى ٠ »

وقال لونى فى قلق : « الافضل أن تمضى الى مكان ما ٠٠ اننى أعرف آرش جانارد ٠٠ ان من الصعب ايقافه اذا صمم على شىء ما ٠٠ ليس فى مقدورى ايقافه لحظة واحدة ٠ ربما كان من الافضل أن تختفى بعيدا عن البلد يا كليم »

أجاب كليم : « لاأستطيع أن أفعل ذلك وأترك عائلتى هناك عبر الحقل » ٠

ــ « سوف يمسك بك اذا لم تفعل ذلك »

ــ « لو ساعدتنى قليلا ، فانه لن يســـتطيع ذلك ٠٠ ســـأذهب وأختبىء فترة فى هذه البقعة الصغيرة من الغابة ٠٠ وأعتقد أنك تستطيع مساعدتى ، كما ساعدتك فى العثور على والدك فى حظيرة الخنازير ٠

وأومأ لونى برأسه ، وهو ينصت الى الأصوات المنبعثـة من البيت الكبير ٠ واستمر فى ايمانه الى كليم الذى وقف ينتظر منه التأكيد ٠

وقال كليم : « اذا كنت ستقف الى جانبى ٠٠ أستطيع أن أذهب الى الغابة وأنتظر هناك حتى ينمحى الموضوع من أذهانهم ٠٠ أنت لن تخبرهم بالمكان الذى سأذهب اليه ، فى مقدورك أن تقول لهم اننى انطلقت الى المستنقع ٠٠ لن يستطيعوا العثور على أبدا دون الاســتعانة بالكلاب المقتفية للأثر ٠ »

قال لونى وهو ينصت للاصوات المنبعثة من بيت آرش : « هـذا صحيح ·· ولم يكن يود أن يجدوه هناك خلف الجرن حيث يستطيع آرش أن يتهمه بالتحدث مع كليم ·

وفى اللحظة التى أجاب فيها لونى ، استدار كليم وفر فى الليل ومشى لونى خلفه بضع خطوات ، كما لو انه قد غير رأيه فجأة فى أمر مساعدته ، ولكن كليم كان قد اختفى فى هذه اللحظة وسط الظلام ·

وانتظر لونى بضعة دقائق ، منصتا لوقع أقدام كليم خلال الشجيرات الموجودة بالغابة على بعد ربع ميل ·· وعندما لم يعد يسمع كليم ، اتجه ناحية الجرن لمقابلة آرش ·

وظهر آرش خارجا من البيت حاملا بندقيته ذات الفوهتين والمصباح الذى التقطه من المنزل ·· وكانت جيوبه منتفخة بالرصاص وسأل : « أين ذلك الزنجى الملعون يالونى ؟ الى أين ذهب ؟ »

وفتح لونى فمه ، لكنه لم يتفوه بشىء ·

ـ « أنت تعرف الطريق الذى ذهب فيه ، أليس كذلك ؟ »

وحاول لونى مرة أخرى أن يقول شيئا ، ولكن صوته انحبس ·· وقفز عندما وجد نفسه يومىء برأسه الى آرش : « مستر آرش · انا ـ »

فقال آرش : « حسنا جدا ·· ذلك هو كل ما أريد أن أعرفه الآن ·· سوف يحضر هنا فى ظروف دقيقة دادلى سميث وتوم هاوكينز وفرانك وديف هوارد والآخرون ، ويمكنك أن تظل هنا حتى تدلنا على المكان الذى اختبأ فيه ·

وحاول لونى أن يقول شيئا · وأمسك آرش من كمه محاولا ايقافه، لكن آرش كان قد مضى ·

جرى آرش حول المنزل الى الفناء الامامى ·· وسرعان ما أقبلت سيارة تنهب الطريق ، وأضاءت بأنوارها الكاشفة المكان بأكمله ·· حظيرة الخنازير وكل شىء · وعرف لونى انها فى الاغلب سيارة دادلى سميث ، لان منزله هو الاول فى ذلك الاتجاه ، على بعد نصف ميل فقط ·· وبينما كان ينعطف عند المدخل ، ظهرت عدة سيارات أخرى فى أعلى الطريق وفى أسفله على السواء ·

وأرتجف لونى ·· كان خائفا من أن يطلب منه آرش أن يدله على

المكان الذى ذهب كليم للاختفاء فيه •• كان يعلم أن آرش سيطلب منه ذلك •• ولقد وعد كليم ألا يفعل هذا •• ولكنه حاول بكل جهده أن يمنع نفسه من الاعتقاد بأن آرش جانارد يمكن أن يفعل أى شىء لكليم زيادة على جلده •• ان كليم لم يرتكب شيئا يستدعى قتله دون محاكمة •• لم يغتصب امرأة بيضاء ، ولم يطلق الرصاص على رجل أبيض ، انه لم يفعل شيئا سوى الرد على آرش دون أن يخلع قبعته ، ولكن آرش كان قد طار صوابه بحيث يمكن أن يفعل أى شىء •• كان قد جن من كليم الى حد أنه لن يكتفى بأى شىء يقل عن القتل دون محاكمة •

التفت حول لونى مجموعة الرجال بأكملهم قبل أن يتنبه هو لذلك •• وراح آرش يقبض على ذراعه ويصيح فى وجهه » •

ـ « مستر آرش ، أنا ••• »

وتعرف لونى على كل رجل من خلال غلالة الفجر الرقيقة • كانوا هائجين ، وكانوا يبدون كأناس فى الطور الاخير من حفلة استمرت طول الليل •• كانت بنادقهم ومسدساتهم على جوانبهم متأهبة للقتل •

وصاح آرش فى اذن لونى : « ما الذى دهاك يالونى ؟ انتبه وقل لنا أين اختفى كليم هنرى •• نحن مستعدون للقبض عليه • »

ورأى لونى فرانك هوارد يضع اثنتى عشرة طلقة فى بندقيته •• ومال فرانك الى الامام حتى يستطيع أن يسمع لونى وهو يخبر آرش عن المكان الذى اختبأ فيه كليم •

وقال لونى : « أنت لن تقتل كليم هذه المرة ، هل ستقتله يا مستر آرش ؟ » •

وردد دادلى سميث عبارته : « يقتله ؟ ماذا تظن اذن السبب فى انتظارى كل هذا الوقت اذا لم يكن اصطياد كليم •• ان ذلك الزنجى هو الذى جر المصائب على نفسه منذ قدم الى هذا البلد •• انه زنجى سيىء وسينال جزاءه • »

قال لونى : « لم تكن غلطة كليم تماما •• لو لم يأت والدى الى هنا ووقع فى حظيرة الخنازير ، لما تورط كليم فى شىء •• كان يساعدنى ، هذا هو كل ما هنالك » •

فصاح فيه أحدهم : « اسكت يا لونى ، أنت مضطرب الى درجة أنك لا تعى ما تقوله •• انك بكلامك هذا تقف فى صف أحد الزنوج » •

واشـتد ازدحام الناس من حوله ، حتى شـعر أنه ينضغط حتى أشرفت روحه على الخلاص ٠٠ كان فى حاجة الى شيء من الهواء ، وآلى أن يتنفس وأن يخلص نفسه من الناس ٠

وقال : « هذا صواب »

لقد سمع نفسه يتكلم ، ولكنه لم يكن يدرى ما يقوله ٠

ـ « لكن كليم ساعدنى فى العثور على والدى عنـدما ضل طريقه وهو يبحث عن شيء يأكله » ٠

وقال أحدهم ثانية : « اخرس ، يا لونى ، أيها الاحمق الملعون ٠ اخرس » ٠

وجذبه آرش من كتفه وهزه حتى اصطكت أسـنانه ٠٠ وعندئذ أدرك لونى ما كان يقوله ٠

وصاح آرش : « والآن ، انظر هنا ، يا لونى . لابد أن تكون فى غير صوابك لأنك تعرف جيدا أنك لا يمكن أن تتكلم كما يتكلم مؤيد الزنوج ، وأنت فى وعيك » .

قال لونى وجسمه كله يرتجف : « هذا صحيح ، بالتأكيد لم أكن أريد أن أتفوه بهذا الكلام » ٠

كان لا يزال يشعر بقبضة آرش على كتفه حيث آلمته أصـابعه القوية .

وسأله دادلى سميث : « هل ذهب كليم الى المسـتنقع يالونى ؟ هل هذا صحيح يا لونى ؟ »

حاول لونى أن يهز رأسه ، وحاول أن يومىء برأسه .. وعندئذ راحت أصابع آرش تضغط على رقبة لونى النحيلة .. ونظر الى الرجال ذوى العيون المفترسة .

ثم سأله آرش ، وهو يزيد من ضـغط أصابعه : « أين اختفى كليم يالونى ؟ »

وخطا لونى ثلاث أو أربع خطوات ناحية الجرن .. وعندما توقف، اندفع الرجال الذين خلفه الى الأمام ثانية ٠٠ ووجد نفسه مدفوعا به خلف الجرن ثم بعيدا عنه ٠

وقال آرش : « حسنا يا لونى . والآن قل لنا من أى طريق ؟ »

وأشار لونى ناحية رقعة الغابة حيث القناة .. وكان المستنقع يقع فى الاتجاه الآخر .

وقال لونى : « لقد قال انه سوف يختبىء فى تلك البقعة من الغابة هناك بجوار القناة يا مستر آرش .. وأظن أنه وصل الى هناك الآن . »

ووجد لونى نفسه مدفوعا به الى الامام ، وراح يتعثر فى خطواته فوق الأرض الخشنة محاولا الاحتفاظ بتوازنه حتى لا ينكفىء على الأرض ويطئونه بأقدامهم .

ولم يكن أحد يتكلم ، وبدا كل واحد وكأنه يمشى على أطراف أصابعه . وكانت أشعة الفجر الرمادية الاولى تزداد بحيث تخفيهم وتظهر أمامهم الطريق فى نفس الوقت .

وقبل أن يصل الرجال الى حافة الغابة تماما تفرقوا — ووجد لونى نفسه جزءا من الحلقة التى تضيق الخناق حول كليم .

كان لونى وحده ، لم يكن هناك أحد يوقفه ، ولكنه لم يستطع أن يتحرك الى الامام أو الى الخلف .. وبدأ يتبين بوضوح ما أقدم عليه .

ان كليم على الأغلب فوق احدى الأشجار فى مكان ما من الغابة ، ولكنه أصبح محاصرا فى الوقت نفسه من كل جانب .. ولو حاول تحطيم الحصار والهرب ، فانهم سيطلقون عليه الرصاص كالأرنب .

جلس لونى فوق جذع شجرة وحاول أن يفكر فيما يعمله ... سوف تشرق الشمس بعد بضع دقائق ، وبمجرد شروق الشمس ، سيضيق الناس الخناق على القناة وعلى كليم .. ولن تكون أمامه فرصة اطلاقا ازاء كل هذه البنادق والمسدسات .

وشاهد مرة أو مرتين وهج عود كبريت تحت الشجيرات حيث يرقد هناك بعض الرجال ينتظرون .. وصافحت خياشيمه رائحة دخان سيجارة ، ووجد نفسه يفكر فيما اذا كان بمقدور كليم أن يشمها من مكانه فى الغابة .

كان الصمت لا يزال مخيما على كل ما حوله — وكان يعلم أن آرش جانارد وبقية الرجال ينتظرون شروق الشمس خلفه من الشرق بعد بضع دقائق .

وكان الضوء فى هذه اللحظة كافيا لأن يرى بوضوح الأرض غير الممهدة والشجيرات المتشابكة واللحاء الملتوى على أشجار الصنوبر .

وبدأ الرجال يزحفون الى الأمام ، وبنادقهم مرفوعة كأنهم يطاردون غزالا .. لم تكن الغابة واسعة ، وفى مقدور حلقة الرجال أن يسيطروا عليها فى دقائق قليلة بهذا المعدل الذى يتقدمون به .. وكانت هناك فرصة لا تزال أمام كليم للتسلل من الحلقة قبل بزوغ الفجر ، ولكن لونى شعر بأنه مازال هناك .. وبدأ يشعر أن كليم كان هناك لأنه هو الذى وضعه بنفسه فى هذا المكان حتى يعثر عليه الرجال بسهولة .

ووجد لونى نفسه يتحرك الى الامام ، وينجذب نحو حلقة الرجال التى تزداد ضيقا .. وفجأة وجدهم جميعا من حوله بملامحهم المغبشة .. كانت عيونهم تبحث فى قمم أشجار الصنوبر الخضراء الكثيفة وهم يتقدمون من شجرة الى شجرة .

وقال فى صوت هامس اجش : « او ، بابا ، بابا ! »

وتقدم الى الامام بضع خطوات ، ناظرا الى الشجيرات ، ثم الى قمم الاشجار . وعندما رأى الرجال الآخرين مرة أخرى ، تبين له أن « مارك نيوصم » ليس هو الشخص الذى يبحثون عنه .. ولم يعرف ما الذى جعله ينسى هكذا .

كانت حركة الزحف الى الامام قد بدأت تؤثر على حركة جسم لونى . ووجد نفسه يقفز الى الأمام على أصابعه ، ويميل بجسمه فى ذلك الاتجاه . وبدت حركته كمن يزحف ليمسك بأرنب لافتقاره الى بندقية يصيده بها .. ونسى ثانية ما الذى كان يعمله هنالك .. وبدت الحيوية فى قدميه كما لو كانت تزداد قوة مع كل خطوة .. وكان مائلا الى الامام الى درجة أنه كاد يلمس الارض بأطراف أصابعه ، لم يكن فى مقدوره أن يتوقف الآن .. كان يلاحق حلقة الرجال .

وكان الرجال الخمسة عشر يتقاربون أكثر فأكثر نحو بعضهم البعض . وبزغ الفجر بدرجة كافية لرؤية الوقت على وجه الساعة .. وبدأت الشمس تضفى لونها على السماء فوقهم .

كان لونى فى هذه اللحظة متقدما جدا عن أى واحد آخر .. لم يكن يستطيع أن يمسك نفسه عن التقدم .. كانت القوة التى فى رجليه أكثر مما يستطيع أن يكبح جماحها .

لم يكن فى مقدوره منذ وقت طويل أن يشترى رصاصا لبندقيته حتى انه نسى كم كان يحب الصيد .

وصار صوت زحف الرجال المتواصل له ايقاع فى أذنيه .

وصاح أحدهم : « ها هو اللقيط ! وأعقب ذلك صوت اندفاع خلال الشجيرات الجافة . واندفع لونى الى الامام ، ووصل الى الشجرة الكبيرة فى سرعة كأى شخص .

ورأى الجميع وبنادقهم مشرعة ، وبدا وجه كليم هنرى الدقيق التقاطع فى الافق وقد لمع من أشعة الشمس المشرقة .. وكان جسده يحتضن قمة الصنوبر الرفيعة .

لم يعرف لونى من الذى أطلق الرصاص أولا ، ولكن بقية الرجال لم يترددوا ، كان هنـــاك زئير يصم الآذان عنـــدما راحت البنـــادق والمسدسات تنطلق وتبرق وتحيط جذع الشجرة بالدخان .

وأغلق عينيه ، كان يخشى النظر ثانية الى الوجه الذى يطل من أعلى الشجرة واستمر اطلاق النار بلا توقف .. واحتضن كليم الشجرة بكل قوته ، ثم سمع صوت تشقق الخشب عاليا ، وسقوط فرع الشجرة وكليم الى الارض من خلال الفروع السفلى .. سقط الجسد على الارض ممزقا محدثا دويا شل قلب لونى عن الحركة .

واستدار ، باحثا بيديه عن شجرة يستند اليها .. بينما راح الرصاص ينطلق من جديد .. وتقلب الجسد المتقلص مرة بعد أخرى، مثل زكيبة مليئة بالقطط الصغيرة ، أطلق عليها نيران مدفع أوتوماتيكى ـ وقد انهال البارود عليها من كل جانب . وارتفعت من الارض سحابة من الغبار حلقت فوق الرءوس مختلطة برائحة البارود المحترق .

لا يذكر لونى الوقت الذى استغرقه اطلاق الرصاص .. لقد وجد نفسه يجرى من شجرة الى أخرى ، قابضا على فرع شجرة صنوبر ، متعثرا بشدة فى أثناء جريه نحو الأرض الخالية .. وكانت الســماء قد تحولت من اللون الرمادى الى اللون الاحمر عنـــدما أشرف على الارض الخلاء ، وبينما كان يجرى ، ويتعثر فوق كتل الطين الجامدة فى الغيط المحروث ، كان يحاول ألا يرفع عينيه عن المنزل الذى يبدو أمامه .

وفى احدى المرات سقط على الارض ، ووجد انه يكاد يكون من المستحيل عليه أن ينهض ثانية على قدميه .. وناضل لينهض على ركبتيه،

وهو يواجه الشمس الحمراء المستديرة .. وأشاع فيه الدفء قوة على النهوض على قدميه ، وراح يهمهم لنفسه همهمة غير واضحة .. كان يحاول أن يقول أشياء لم يفكر أبدا فى قولها من قبل .

وعندما عاد الى البيت ، وجد هاتى تنتظره فى الفناء .. كانت قد سمعت طلقات الرصاص فى الغابة ، وشاهدته وهو يتعثر فوق كتل الطين الجامدة فى الغيط ، ورأته وهو يركع هناك وينظر مباشرة فى وجه الشمس .. كانت هاتى ترتجف وهى تجرى نحوه لتعرف ما حدث .

وبعد أن وصل لونى الى فنائه الخاص مرة أخرى ، استدار ونظر لحظة من خلفه . ورأى الرجال يتسلقون سور آرش جانارد ، فى حين وقفت زوجة آرش تتحدث اليهم فى المدخل الخلفى .

وقالت هاتى ! ـ «أين أبوك يا لونى ؟ ولماذا بحق السماء كل هذا الرصاص المنطلق فى الغابة ؟ » .

وهرول لونى الى الامام حتى وصل الى المدخل الامامى . وسقط على عتبات الدرج .

قالت هاتى : « لونى ، لونى ! انهض وقل لى ماذا حدث بحق السماء ـ لم أشهد فى حياتى أبدا شيئا يشبه كل هذا الذى يحدث هنا » .

وأجاب لونى : « لا شىء ، لا شىء ».

ـ حسن ، اذا لم يكن هناك شىء ، ألا يمكنك أن تذهب الى البيت الكبير وتطلب قطعة صغيرة من اللحم الاحمر ؟ ليس لدينا شىء للافطار.. أن والدك سوف يكون أكثر جوعا مما سبق بعد أن قضى الليل بأكمله مستيقظا متجولا . »

« ماذا ؟ « قالها لونى وصوته يرتفع الى حد الصراخ ، قافزا على قدميه .

« ماذا ، لقد قلت فقط اذهب الى البيت الكبير واحصل على قطعة صغيرة من اللحم الاحمر يا لونى . ذلك هو كل ما قلته . »

وأمسك لونى زوجته من كتفيها .. وصـــاح فيها وهو يهزها بخشونة : « لحم ؟ »

أجابته مذهولة وهى تخلص نفسها منه : « نعم ، ألا تستطيع أن تذهب وتطلب من آرش جانارد قطعة صغيرة من اللحم الاحمر ؟ »

وسقط لونى مرة أخرى على السلم ، وقد تدلت ذراعاه بين رجليه المتدتين ، وسقطت ذقنه على صدره .. وقال فى صوت لا يكاد يسمع: « لا ، لا .. لست جائعا » .



التذكار

كان يخيم حزن كبـــير على بيوت الجيران ·· عندما ســقطت نيللى ستودارد من السلم مساء احدى الليالى وقضت نحبها فى سن الخمسين·

والآنوقد أتيحت مناسبة لتذكر مامضى ، كان الحديث الذى يجرى بين الجيران ، هو أن نيللى كرست الثلاثين عاما الأخيرة من حياتها تصنع الكعك للعرائس ، وتساعد الأمهات فى العناية بأطفالهن المرضى ، وتهش الذباب عن أسرة المرضى ، وتواسى الثكالى ، وتقوم بوجه عام بأعمال للجميع عن طيب خاطر ·· وتعودت دائما أن تدير منزلا منظما وتكون زوجة مثالية لـ «هيم» · ومع ذلك لايستطيع أحد أن يذكر أنه سمع نيللى تقول ولو مرة واحدة انها متعبة جدا أو مشغولة جدا فى بيتها الخاص ، بحيث لاتستطيع أن تذهب الى منزل أحد الجيران وتقوم بالمساعدة فى وقت الحاجة ·

وقال الناس من أقصى بلدة فيتش الى أقصاها : « لو كانت هناك امرأة طيبة عاشت على وجه هذه الأرض ، لكانت تلك المـرأة هى نيللى ستودارد ، ان هناك الكثير جدا من الخطاة فى هذا العالم ، لكن لا أحد يستطيع أن يقول ان نيللى كانت واحدة منهم » ·

وقال بعض الجيران الذين هم أكثر صراحة : انه كان من العار أن تقضى نيللى الثلاثين عاما الأخيرة من حياتها تعيش مع رجل خاطىء وغد مثل هيم ستودارد ·· وقال معظم أقاربه وجميع أقاربها المباشرين : ان العالم كان سيغدو أفضل لو أن « هيم » ســقط من سلم حجرة الكرار واندقت عنقه بدلا من نيللى ·· انها لم تنقطع أبدا ، سواء فى صحتها أو فى مرضها ، عن سماع عظات يوم الاحد فى الكنيسة الواقعة عند مفترق الطرق ، وحتى لو كان الجو عاصفا معربدا ، كانت تمشى ميلا بعد ميل لتمد يد المساعدة الى أى شخص فى منحة ·

وظل الناس يقولون ويعيدون : « كانت نيللى ســـتودارد امرأة قديسة ، لا يستطيع أحد أن يقول صادقا انها ارتكبت أبدا اثما طوال حياتها ·· الأمر الوحيد الذى يمكن أن تلام عليه هو زواجها من رجل مثل هيم ستودارد » ·

كان هيم يقترب من سن الخامسة والخمسين عندما ماتت نيللى ، وكان يميل الى المشـاكسة ، عنيدا ، متصلبا فى ســلوكه كل يوم من السنوات الثلاثين التى عاشها معها ·· وكان فى شبابه ورجولته المبكرة يعمل حدادا ، وكان لايزال رجلا قويا خشنا يبلغ وزنه مائتين وخمسة

على المشيب ، وأصابعه الثقيلة الكثيفة تبدو دائما قذرة صلبة من أثر اشعال الفرن وطرق زوايا الحديد ورءوس المناجل ٠٠ وكان يدير حانوتا صغيرا عند مفترق الطرق فى الجهة المرتفعة من بلدة فيتش منذ تخلى عن مهنة الحدادة ويكسب من ورائه رزقا ميسورا من بيع البضائع المعلبة ومخلفات الحديد والأدوات الى العائلات التى تقوم بقطع الأخشاب وعمل التربينات وتعيش فى الأراضى المنخفضة الصنوبرية ٠

عاد هيم الى البيت عصر ذلك اليوم بعد أن انتهت مراسم الدفن وجلس ينظر عبر النافذة الى أعشاب أواخر الصيف عند مدخل الباب٠٠ كان يقف ثابتا فى المدفن طوال الاحتفال الذى أقيم بجوار القبر دون أن يذرف دمعة واحدة ، لكنه عندما وجد نفسه وحيدا فى البيت لأول مرة منذ ثلاثين عاما ، شعر أنه حزين ومهجور ٠٠ وصعدت الدموع الى عينيه للمرة الأولى منذ أيام طفولتـــه ٠٠ لقد فقـــد نيللى رعايتها له ، وأراد أن يفكر فى طريقة لا تجعلها تعرف مدى وحدته وكآبته بدونها ٠٠ وغربت الشمس وبدا الشفق فى الأفق وهو يجلس هناك يبكى ساعة بعد ساعة ٠

ان الشىء الوحيد الذى يعنيه فى العالم كله فى هذه اللحظة هو أن يستطيع التفكير فى أرق وأحب شىء يمكن أن يفعله من أجل ذكراها ٠٠ وظل جالسا الى مابعد منتصف الليل فى الظلام وقد سيطر عليه الحزن والأسى ٠

وفى فجر اليوم التالى نهض هيم وارتدى ملابسه ٠٠ وصنع قهوة وقلى بيضا ، وبعدئذ وما ان انتهى من تناول الافطار ، حتى صعد الى سيارته وراح يقودها فى اتجاه المدينة على بعد عشرة أميال ٠٠ وعندما وصل الى هناك ، كان عليه أن ينتظر على عتبة دار القضاء حوالى ساعة حتى فتحت الأبواب للعمل اليومى ٠٠ وما ان دقت الاجرآس فى دار القضاء معلنة الساعة الثامنة حتى فتح الحاجب الأبواب ، وذهب هيم الى مكتب المسجل مباشرة ٠

قال هيم لهنرى جوليان : « معى وثيقة شرعية هامة هنا أريد تسجيلها فى سجلات البلاد ، الورقة قديمة وحائلة اللون بعض الشىء ، لكن الكتابة الموجودة عليها يمكن رؤيتها ، والآن أريد منك أن تسرع وتعمل اللازم بشأنها حتى تصبح كما ينبغى ٠

قال المسجل ، وهو يهز رأسه : « أنا لا أستطيع أن أفهم ماهذه

أو ماذا يمكن أن تكون ٠٠ ان الحروف المطبوعة وكذلك المكتوبة بخط اليد تكاد تكون منمحية ماهذا ، ياهيم ؟ » ٠

قال له هيم فى نفاد صبر : « ضع نظارة القراءة على عينيك وسترى ماهذا ، لقد قرأتها أنا نفسى هذا الصباح قبل أن تشرق الشمس - قرأت كل كلمة حائلة فيها » ٠

ووضع هنرى نظارة القراءة على عينيه وأحنى رأسه على الوثيقة البالية ٠

وقال على الفور وهو يحملق بنظرة دهشة مفاجئة : « هيم ، هذا عقد زواج ٠ يا الهى ، من أين أتيت بهذا العقد ، ياهيم ؟ » ٠

- « ربما كان قديما بعض الشىء ، ولكن الوقت حان لتسجيله على الوجه الصحيح فى سجلات البلاد ٠٠ والآن ، هيا واعمل مايقتضيه عملك ٠٠ أنا أريد أن أنتهى منه سريعا ٠ »

قال المسجل ، وهو يدفع بالورقة من فوق المكتب فى اتجاه هيم : « انه ليس فقط قديما بعض الشىء - انه قديم جدا ٠٠ صدر منذ ثلاثين سنة مضت ، واذا كانت نظرتى للتاريخ صائبة ٠٠ انه عقد زواجك أنت ونيللى ٠٠ ولم يحدث أن سجل أبدا على الوجه الصحيح فى الوقت الذى كان ينبغى أن يسجل فيه - والآن صار الوقت متأخرا جدا ، ياهيم ٠ ثلاثون عاما وقت متأخر جدا » ٠

قال هيم فى تصميم : « ان هذا لا يغير من الأمر شيئا » ودفع بالورقة ثانية الى هنرى عبر المكتب : « أنا دفعت الرسم الخاص بالعقد فى حينه ، واستخدمته ، والآن أريد أن يتم تسجيله كما ينبغى ٠٠ ان عملك هو تسجيل الوثائق الشرعية التى تماثل هذه الوثيقة ، دون التفوه بكل هذا الكلام الذى قلته ٠ وانى حضرت الى هنا فى عمل قانونى ، لا لأضيع ساعات النهار ٠

قال هنرى فى تعاطف : « أنا أود أن أفعل ذلك من أجل المرحومة زوجتك - أعنى من أجل نيللى ٠٠ انه أمر خطير أن تعيش امرأة مع رجل طوال هذه المدة ، دون أن تكون متزوجة فى نظر القانون ٠٠ الأفضل أن تقول ان نيللى كانت زوجتك الشرعية ٠ نعم ، أنا أود لو أستطيع تسجيل هذا العقد من أجل خاطر نيللى ، ولكن هذا مالا يمكن عمله ٠٠ فعقد الزواج يعتبر لاغيا بعد خمسة أيام من تاريخ صدوره ٠٠ ذلك هو قانون الدولة ، ياهيم ، وليس هناك ما أستطيع أنا أو أنت أن نفعله ازاء ذلك ٠

وفي مقدوري أن أسرد عليك القانون الموجود هنا في سجل القوانين ٠٠ اذا حصل أي شخص على عقد زواج ، ولم يستعمله ولم يسجله على الوجه الصحيح قبل انقضاء خمسة أيام ، يغدو الأمر كله باطلا ٠٠ وهذا ، كما قلت لك ، يجعل زواج الطرفين المعنيين غير شرعي ، اذا استمرا في العيش معا على أي نحو ٠

قال هيم في عناد : « لم يكن الأمر هكذا عندما دفعت النقود وحصلت عليه ٠٠ ربما غيروا القانون منذ ذلك الحين ــ لكن هذا العقد الموجود مازال صالحا وشرعيا ٠٠ ولن تستطيع أنت ولا أي شخص آخر أن يمنعني من تسجيله على الوجه الصحيح ٠ ان لدي سببا وجيها لرغبتي في تسجيله » ٠

ووضع هنري جولين نظارة القراءة على عينيه مرة ثانية ومال على الوثيقة البالية ٠٠ وراح ينظر طويلا الى الورقة المصفرة والى الحبر الذي حال لونه ٠٠ وبعد عدة دقائق خلع نظارته وهز رأسه في رزانة ٠ ثم قال :

« سأصعد الى الطابق العلوي وأبحث عن أحد القضاة الملمين بهذا الموضوع ياهيم ، وان كنت لا أعتقد أن هذا سيجدي نفعـــا ٠ على أي حال ، أنا لا أستطيع تحمل مسئولية تسجيل العقد ، في هذه الظروف ، حيث أصبح القانون على ماهو عليه في هذه الأيام ٠٠ لقد أقسمت على المحافظة على نص القانون ٠

قال هيم ، وهو يجلس على أحد المقاعد الخشبية في وضع مريح :

أنا لا يهمني من ستتحدث معه ، لكنني أعلم أنني سأمكث هنا في هذه المحكمة حتى يتم تسجيل العقد على أكمل وجه ٠٠ في الليلة الماضية أقسمت ولتحل على اللعنة أن أنجز هذا الأمر من أجل نيللي ٠ لقد حضر الواعظ الاحتفال مع نيللي ، ومعي ، ووقع الشهود أسماءهم في المكان الصحيح ، وبعد ذلك ملأ الواعظ جميع السطور التي في العقد كما هو المفروض أن يفعل ٠٠ وهذا يعني أن كل شخص قام بواجبه ، ماعداك ٠٠ والآن ، هيا واعمل مايفترض على مسجل البلاد أن يعمله ٠٠ سأقسم ولتحل على اللعنة اذا أنا حرمت من الزواج الشرعي بنيللي بعض مضي كل هذا الوقت ٠

سأله هنري : « لكن لماذا لم يقيد القسيس هذا العقد لتسجيله كما كان المفروض أن يفعل ؟ كان ينبغي عليه أن يحضره الى هنا في المحكمة بعد انتهاء الحفل مباشرة ٠٠ أعتقد أنه مات وانتهى الآن ، وجميع الشهود ، أيضا » ٠

قال هيم : « لم يأت به الى هنا لأننى لم أكن واثقا حينئذ من المجرى الذى قد تسير فيه الامور ، وأردت أن أكون حريصا فى هذا وأن أكون فى أمان فى حـــالة ما اذا قررت التخلص من الاتفاق فى أى وقت فى المستقبل ، وقلت لنفسى سأجرب سلوك نيللى الطيب حتى أقتنع أنهـا ستكون الزوجة التى أردت الارتباط بها ‥ من أجل هذا طلبت من الواعظ أن يسلمنى العقد وقلت له اننى سأحفظه له فى عناية وأكفيه مشقة قطع كل هذا الطريق الى المدينة لتسجيله فى المحكمة ، وخبأت العقد فى غرفة السطح ، منتظرا الوقت الذى أكون فيه مقتنعا برغبتى فى الارتباط بأية امرأة ‥ وفى الليلة الفائتة ، بعد الجنازة ، قررت أن الوقت قد حان لاتخاذ هذه الخطوة ، واقتنعت أن نيللى اجتازت الامتحان ،وهكذا صعدت الى غرفة السطح ، وأخرجت العقد من المكان الذى خبأته فيه ليكون فى أمان ، والآن ها هو ذا أمامك ‥ ما كنت لأحضر به الآن ، لو لم أر أن هذا هو الشيء الذى أريد أن أفعله ، الآن بعد أن ذهبت نيللى ·

ظل هنرى صامتا فترة طويلة · وفجأة أعاد نظارة القراءة الى جرابها فى جيبه ‥ وقال أخيرا : « لم أكن لأصدق ذلك ، لو لم أكن أعرفك كما هى الحال الآن · لا أعرف رجلا آخر فى بلدة فيتش يفعل شيئا كهذا ثم هز رأسه فى بطء : « سأصعد الى أعلى وأطلب من أحد القضاة الملمين بهذه الأمور أن يدلنى على ما أفعله ‥ لم يمر بى أبدا من قبل مثل هذا الأمر الغريب ، علما بأنى عملت مسجلا للعقود ست فترات · »

فقال له هيم محذرا : « من الأفضل لك أن تعود ومعك الكلمة بأنك سوف تسجل العقد كما قلت لك أن تفعل منذ البدء ، والا صعدت وأخبرت هؤلاء القضاة أننى سأرفع دعوى مهما كلفتنى من نقود ضد كل شخص فى هذه المحكمة ‥ قررت من أجل نيللى أن أقوم بعمل اللازم لانجاز هذا الأمر ، وفى مقدورى أن أجد محاميا يتولى شأنها » ·

وتغيب هنرى جوليان مدة نصف ساعة أو مايزيد ‥ وعندما عاد الى مكتب التسجيل كان معه القاضى بريتشارد ·

قال القاضى بريتشارد : « يبدو أنك على صـــواب مطلق فى هذا الموضوع ياهيم ‥ ان القانون عدل وصارت عقود الزواج التى لا تسجل خلال خمسة أيام من تاريخ صدورها تعتبر لاغية ، تماما كما قال لك هنرى ‥ ولكن هذا التعديل حدث بعد أن صدر عقد زواجك هذا ــ ولم أجد أى نص فى تسجيل القوانين يجعل هذا القانون ذا أثر رجعى ‥

وهذا يعنى ـ فى رأيى أن هذا العقد الخاص مازال ساريا ـ ولذلك ينبغى تسجيله ٠٠ هيا ، ياهنرى ٠٠ سجل زواج سيمشون وهيم ستودارد » ٠

فقال هيم فى ارتياح : « أعتقد أن كل انسان سيرى الأمر بهذه الطريقة ٠ اذا كنتم تعرفوننى كما يعرفنى بعض الناس الآخرين ، لعلمتم أن من عادتى أن أجد طريقى الخاص ٠٠ اننى أقسمت وتعهدت أن أجد طريقى الى تسجيل هذا العقد ، لأن هذا كله من أجل نيللى ٠٠ فى الليلة الماضية قبلت الأمر على وجوهه ، واستقر رأيى على أن ذلك هو أنسب شىء أقوم به فى هذه الظروف ٠

قال له القاضى بريتشارد : « حسنا ، أنا سعيد أن يغدو الأمر هكذا لصالح نيللى ٠٠ وليرحم الله روحها ٠٠ فهى جديرة بكل السلام والراحة اللتين يمكن أن تصل اليهما ، بعد أن عاشت فى الخطيئة ثلاثين عاما ، وأعتقد أنها تستحق الغفران ، اذا أخذنا فى الاعتبار أنها كانت مخدوعة فى الاعتقاد بأنها كانت متزوجة زواجا شرعيا طوال هذا الوقت ، وأظن أن أبرك شىء فى كل هذا الموضوع هو أنه لم ينجم أطفال عن ذلك ـ عن ذلك الاتحاد ، كما أعتقد أنك تطلق عليه هذا ٠

ونهض هيم ووضع قبعته على رأسه ٠

وقال القاضى بريتشارد : « أريد أن أعرف شيئا واحدا ، ياهيم » ٠

سأله هيم وقد توقف قليلا عند المدخل : « ماهو ؟ » ٠

« بعد كل هذه السنين ، وبعد أن لم تعد نيللى موجودة الآن بيننا ، لماذا عزمت وقررت أن تسجل عقد الزواج تسجيلا شرعيا ؟ أظن أن من الصحيح القول بأنه ما من انسان كان سيعرف الأمر أبدا اذا لم تفعل أنت شيئا فى هذا الموضوع ٠

« ذلك لأننى سأضع شاهدا كبيرا جميلا فوق قبر نيللى وأريد أن تنقش على الجرانيت عبارة تقول فجع على وفاتها زوجها الحزين الذى عاش معها ثلاثين عاما ٠ ولا يستطيع الانسان الأمين المستقيم أن يحمل نفسه على القول بأنه كان زوجها اذا لم يكن تزوجها أبدا زواجا شرعيا » ٠

فأومأ القاضى بريتشارد برأسه فى وقار وقال : « لا ، أعتقد أنه لا يستطيع فالانسان الأمين المستقيم لا يفعل ذلك » ٠



سارق الحصان

أنا لم أسرق حصان لود موسلي المنقط .

حاول الناس جميعا أن يجعلوا منى سارقا ولكن أى انسان يعرفنى جيدا سيذكر لكم أننى لم أتورط طوال حياتى فى مشكلة كهذه ، وسيخبركم مستر جون تيرنر بكل شيء عنى .. فقد عملت لديه مرات عدة لسنوات لا أعرف بالضبط عددها .

وأعتقد أننى اشتغلت لديه كل حياتى تقريبا منذ كنت صبيا .. ومستر جون يعرف أننى لا يمكن أن أسرق حصانا .. من أجل هذا أقول اننى لم أسرق حصان لود موسلى ، كما يقسم هو أننى فعلت .. فأنا لم أنفق كل هذه السنوات من حياتى لأصبح فى النهاية سارق حصان .

فى الليلة قبل الفائتة سمح لى المستر جون أن أركب حصانه (بيتسى) قلت له اننى أريد أن أذهب الى مشوار صغير لقضاء مأمورية ، فسمح لى بركوب بيتسى مثلما أفعل كل ليلة أحد فى ذهابى منذ سنتين .. وأشار على بأن آخذ السرج التكساسى ، ولكنى قلت انه لا يهمنى الركوب دون سرج فأنا أفضل اللجام والعنان فقط ، فهذه على أية حال أفضل طريقة للركوب .. ولم أكن أريد سرجا يحدث صريرا من تحتى هناك فى المكان الذى أقصده .. فقد كنت فى طريقى الى مكان لا يخلو من عاقبة .. انه فى الحقيقة شيء خاص بى ، وليس لأحد الحق فى السؤال عنه .. اننى تقريبا أركب بالسرج فى ليالى الأحد ، ولكن الليلة قبل الفائتة كانت ليلة الخميس لذا لم آخذ السرج عندما خرجت .

سيذكر لكم مستر جون تيرنر أننى لست من النوع الذى يتورط فى المشاكل عندما يخرج .. اسألوا مستر جون عنى ، فقد عرفنى طوال حياتى ولم يحدث أبدا أن سببت له أو لأى شخص آخر ورطة ما .

عندما أخرجت بيتسى فى تلك الليلة من الاسطبل بعد العشاء ظهر مستر جون فى الفناء ، وسألنى ثانية عما اذا كنت أرغب فى أخذ السرج التكساسى حيث ان تلك الفرسة بيتسى ظهرها بارز العظام بعض الشيء . ولكنى لم ألق بالا لهذا الأمر ، وقلت لمستر جون انه يطيب لى أن أركب دون سرج .. فقال : افعل ما يحلو لك فلن يضيرنى أن تقطم رقبتك .

وظل واقفا هناك طول الوقت وهو يمسح عرف الحصان محاولا اكتشاف المكان الذى أقصده دون أن يلجأ الى سؤالى مباشرة ، ولكنه كان يعلم جيدا أين كنت ذاهبا لأنه يعلم كل شيء عنى .. ويخيل لى انه

يريد فقط أن يتفكه على ، ولكنه لم يستطع أن يفعل ذلك لأنى لم أصرح له بوجهتى .. وهكذا قال لى لا بأس من ركوبى الفرسة دون سرج مادمت لا أطيعه ، وفتحت البوابة ومضيت بجوادى فى الطريق متجهـا الى تقاطع طرق بيشوب .

كان ذلك فى الليلة قبل الفائتة ــ ليلة الخميس ــ وكنا وقتئذ بعد الغروب ، ولكنى استطعت أن أرى مستر جون واقفا عند بوابة الفناء مستندا اليها بعض الشيء يتابعنى بنظره وأنا راكب الفرسة .. كنت قد حرثت فى ذلك اليوم كثيرا فى الأرض الجديدة حتى نال منى التعب ، وهذا من بين الأسباب التى منعتنى من العدو بالحصان كما أفعل دائما فى ليالى الأحد ، وهكذا أخذت طريقى فى بطء تاركا بيتسى تسير بى على راحتها ، فلم أكن على أية حال فى عجلة من أمرى .. كان أمامى حوالى ساعتين بينما المسافة لا تزيد على ثلاثة أميال الا قليلا ، ذلك هو سبب ذهابى على هذا النحو .

***

الكل يعرف أننى كنت ذاهبا لرؤية ناومى ابنة لود موسلى الصغرى .. كنت ذاهبا فى تلك الليلة لرؤيتها ثانية ولكنى لم أستطع الوصول الى هناك الا فى الساعة التاسعة والنصف .. ذلك أن لود موسلى لم يكن يسمح لى بالحضور لرؤيتها سوى مرة واحدة فى الاســبوع ، ليلة الأحد .. والليلة قبل الماضية كانت ليلة الخميس ، وكنت قد ذهبت الى هناك لزيارتها ثلاث أو أربع مرات من قبل فى ليالى الخميس دون أن يعلم لود موسلى .. فقد دعتنى ناومى أن أحضر لرؤيتها فى ليالى الخميس . ومن أجل هذا كنت أذهب الى هنــاك برغم قرار لويد موسلى بمنعى من المجىء الى منزله سوى مرة واحدة فى الأسبوع .. طلبت منى ناومى أن أجىء على أية حال ، وقالت انها ســتخرج لمقابلتى عند الأرجوحة تحت الاشجار فى الفناء الامامى .

لم يكن فى نفسى شيء ضد لود موسلى .. وهذا ما سيقوله لكم مستر جون . صحيح أننى لا أحب لود موسلى ، ولكن هذا شيء طبيعى وهو يعرف السبب ، ولا يكفى مرة واحدة فى الأسبوع لرؤية الفتاة التى تحبها كثيرا كما أحب أنا ناومى ، ويبدو لى أنها تميل الى بعض الشيء والا لما دعتنى للحضور لمقابلتها فى ليالى الخميس بعد أن طلب منى لود موسـلى عدم المجىء .. انه يعتقد أننى لو ذهبت لرؤيتها أكثر من

مرة فى الأسبوع فمن الجائز أن « تعملها » ونتم الزواج قبل أن يتدارك الأمر ، هذا هو سبب قوله انه لا يأذن لى بالحضور الى منزلهم سوى مرة فى الأسبوع ، فى ليالى الأحد .

وهو قد صمم على أن يزج بى فى السجن عشرين عاما بتهمة سرقة حصانه المنقط « لا يتفوت » • ويخيل لى أنه يعرف تماما أننى لم أسرق الحصان ، ولكنه تصور أن هذه هى فرصته التى لا تعوض لازاحتى من الطريق ، حتى يزوج ناومى من شخص آخر •• هذا هو الامر كله كما أتصوره .. لأن كل انسان فى هذه المنطقة سمع عنى يعرف أننى لست سارق جياد ـ مستر جون تيرنر سيقول لكم ذلك .. انه يعرفنى جيدا فقد اشتغلت لديه مدة طويلة حتى انه حاول مرة أن يعتبرنى واحدا من العائلة فلم أدعه يفعل ذلك .

وهكذا خرجت من البيت فى الليلة قبل الفائتة ـ ليلة الخميس ـ ممتطيا ظهر بيتسى العارى •• قضيت وقتا قصيرا عند الترعة على بعد حوالى ميل من الطريق الذى نسلكه ، وعندما نظرت الى ساعتى ثانية كانت تشير الى التاسعة تماما ، فامتطيت بيتسى وانطلقت متجها نحو منزل لود موسلى .. كان كل شىء ساكنا وادعا حول المنزل والمخزن ، وكان موعد ذهاب لود موسلى الى الفراش قد حان، ، فظللت راكبا حتى بوابة الفناء كما اعتدت أن أفعل دائما فى ليالى الخميس ، وكان فى مقدورى أن ألمح النور مضاء فى حجرة « ناومى » حيث تنام مع اختها الكبرى مارى لى •• كنا دائما نعمل حسابنا على أن تكون مارى لى بالخارج مع شخص آخر أو أن تكون قد تأهبت للنوم قبل الساعة التاسعة والنصف •• وعندما تطلعت الى الشباك شاهدت ناومى ممددة على سريرها ومارى واقفة بجوارها تحدثها فى أمر ما .. يبدو أن الأمور تسير كما أشتهى •.• فعندما تحاول مارى لى أن تجعل ناومى تخلع ملابسها وتذهب الى الفراش قبلها ، فهذا يعنى دائما أن على ناومى أن تقضى ساعة أخرى أو أكثر حتى تستطيع التسلل من الحجرة ، ثم عليها أن تنتظر حتى تستغرق مارى لى فى النوم وعندئذ تنهض وترتدى ملابسها فى الظلام قبل أن تتمكن من التسلل الى الفناء الامامى وتقابلنى عند الأرجوحة تحت الأشجار .

ظللت ممتطيا صهوة بيتسى لمدة عشر أو خمس عشرة دقيقة منتظرا كيف تنهى ناومى الأمر مع أختها •• وأحسب أننا لو أطلعنا « مارى لى » على سرنا فانها لا تفشيه ، ولكن ناومى لاى سبب رأت عدم المخاطرة

بذلك ، فقد كان من الجائز جدا أن تسيء التصرف وتذهب فورا الى لود موسلى وتطلعه على الامر .. ولم نكن نريد ان تقوم بهذه المخاطره بالطبع، وبعد لحظه رايت ناومى تنهض وتبدأ فى خلع ملابسها .. كنت أعرف تماما ان ذلك يعنى الانتظار ساعة أخرى أو أكثر حتى تتمكن من المجيء لمقابلتى .. وراح القمر يرتفع شيئا فشيئا ، وبدا أنه سيكون ساطعا كضوء النهار هناك فى الفناء ، وكنت معتادا على فتح البوابة واطلاق سراح بيتسى فى الفناء ، ولكنى لم أجرؤ أن أفعل ذلك الليله مثل الليالى الماضية ، فلو نهض لود موسلى ليشرب أو لأى سبب آخر وتصادف ان ألقى نظرة على الخارج ناحيه الجرن ورأى فرسا هناك ، فانه اما أن يظن أنه أحد خيوله فيخرج ويحبسه فى الاسطبل ، واما أنه يكتشف أننى موجود بالخارج ، ومهما كان الامر فانه بمجرد رؤية بيتسى سيعرف أنها ليست فرسته ، وعندئذ يحدث من الضرر ما يخشى مغبته .. لذلك فتحت باب الجرن وقدت بيتسى الى داخله ووضعتها فى أول معلف خال استطعت أن أعثر عليه فى الظلام ، وخشيت أن أشعل ثقابا .. من يدرى فربما نظر لود موسلى عبر النافذة فى نفس اللحظة فيرى وهج الثقاب .. وضعت بيتسى فى المعلف وأغلقت الباب وخرجت لأنتظر ناومى حتى تجد فرصة للحضور لمقابلتى عند الأرجوحة بالفناء .

كانت الساعة حوالى الثانية عشرة والنصف أو الواحدة عند ما تهيأت للعودة ، وكانت السحب تحجب القمر ، والمكان عند الجرن أكثر ظلمة حتى انى لم أستطع أن أرى يدى أمامى من شـــدة الظلمة .. وخشيت اشعال ثقاب فى هذه المرة ايضا ، وتحسست طريقى حتى فتحت باب المعلف وخطوت الى الداخل لأسحب بيتسى .. لم أستطع رؤية شيء ، وعند ما لمست رقبتها بدا لى أنها قد أسقطت عنها اللجام مثلما تفعل دائما عند ما تضطر الى الوقوف طويلا وتضيق به ، وخشيت من محاولة ركوبها الى البيت دون مقود من أى نوع فلربما أجفلت فى الفناء ، وأخذت تصهل هناك وتوقظ لود موسلى ، وتحسست الأرض حولى بحثا عن اللجام ولكنى لم أستطع العثور عليه فى أى مكان .. وحينئذ عدت الى باب المعلف وبحثت هناك ، وقد خطر لى أننى ربما نزعته بنفسى عنها وأنا فى غمرة انفعالى فى البداية . وجدت مقودا معلقا فوضعته فى رقبتها وسحبتها الى الخارج .. كان المكان ما زال مظلما حتى انى لم أستطع رؤية شيء فكان على أن أتلمس طريقى الى الخارج مارا ببوابة الفنـاء .. عندما وصلت الى الطريق أطحت ساقى فوق الفرسة وانطلقت الى البيت دون أن أضيع دقيقة واحدة أخرى فى أرض لود موسلى .. ويبدو أن الفرسة

كانت تخب بطريقة مضحكة بعض الشيء لانها كانت تتأرجح وتجعلني نزلق من جانب الى آخر ، ولم يكن معي سرج أركز عليه ، لكنني لم أهتم كثيرا اذ كان كل همي هو الابتعاد عن المكان دون أن يكتشف أحد أمري ، ووصلت البيت في أمان ، وخلعت المقود عن الفرسة ووضعتها في معلفها .. كانت الساعة وقتئذ حوالي الواحدة أو الثانية صباحا .

في اليوم التالي بعد الافطار كنت قد تهيأت لقيادة البغال واعدادها للحرث ثانية في الأرض الجديدة ـ جاء لود موسلي وثلاثة أو أربعة رجال آخرين بينهم المأمور وخرج اليهم مستر جون وخبط على ظهر المأمور وهو يحكي له قصة فكهة ، واستمروا على هذا النحو حوالي نصف ساعة ، وبعدئذ سأل المأمور مستر جون عن مكاني فأخبره جون أنني على وشك الخروج الى الأرض الجديدة حيث زرعنا قمحا ذاك الربيع .. فقال المأمور ان لديه أمرا بالقبض على ، فسأله مستر جون عن السبب وهل هو يمزح أم ماذا ، فأخبره المأمور أن السبب هو سرقة « لايتفوت » حصان لود موسلي المنقط ، فضحك مستر جون لأنه ما زال يظن أنها مجرد دعابة ، لكن المأمور أبرز له الورقة وأطلعه عليها .. ومستر جون مازال غير مصدق قائلا لهم انه لابد أن في الأمر لبسا ، لأنني كما قلت لهم لا يمكن أن أسرق حصانا . فمستر جون يعرف أنني لست من لصوص الخيل وأنني لم أتورط أبدا في أي نوع من المشاكل طوال حياتي .

وأخذوني الى المدينة ووضعوني في زنزانة في سجن المأمور .. كنت أعرف أنني لم أسرق حصان لود موسلي ، ولذا لم يخالجني الخوف ، ولكن بعد أن جاءوا بي الى المدينة عادوا جميعا ودخل المأمور الجرن فوجد « لايتفوت » ، حصان لود موسلي المنقط ، في معلف بيتسي .. قال مستر جون لابد أن هناك لبسا في الأمر .. فهو يعرف أنني لم أسرق الحصان ، ويعرف أنني لا أفعلها ، ولكن الحصان كان هناك .. الحصان المنقط ، « لايتفوت » .. وكان مقوده معلقا على باب المعلف بعد ذلك رجعوا الى بيت لود موسلي واقتفوا آثار أقدامي في الفناء وعندئذ وجدوا لجام بيتسي .. وقال لود موسلي انني ركبت فرسة مستر جون الى هناك وأطلقت سراحها ، ووضعت اللجام على حصانه لايتفوت وانطلقت به عائدا .. لم يقولوا كيف وصل المقود الى اسطبل مستر جون اذن .. لم يكن باب معلف لود موسلي مغلقا ولم يكسر .. ويبدو لي الآن أنني نسيت أن أغلقه جيدا عندما وضعت فيه بيتسي لأنها خرجت بطريقة ما وعادت الى البيت من تلقاء نفسها في ساعة ما في تلك الليلة .

يقول لود موسلى انه سيزج بى فى السجن عشرين عـــاما حيث لا تتاح أمامى الفرصة لأزعجه بخصوص ابنته الصغرى ناومى ٠٠ فهو يريد أن تتزوج من مزارع أرمل هناك خلف تقاطع طرق بيشوب، يستخدم عشرين محراثا ، ويمتلك منزلا كبيرا ابيض يحتـــوى على خمس عشرة حجرة ٠٠ ويقول مستر جون تيرنر انه سوف يعهد بقضيتى الى أحسن محام فى البلد ، ولكن يبدو أن ذلك لن يفيد كثيرا لآن آثار أقدامى مرسومة فى فناء لود موسلى كما أن حصانه وجد فى اسطبل مســـتر جون ٠

وأحسب أننى أستطيع ، لو أردت ، أن أنقذ نفسى بطريقة ما ، غير أنى لا أحب أن أقدم على أشياء كهذه ، لأنها تضع ناومى فى موقف حرج ٠٠ فلو قلت اننى كنت هناك لمقابلتها ، ووضعت بيتسى فى المعلف لتظل ساكنة ، وأخرجت « لايتفوت » بطريق الخطأ فى الظلام عند ما تأهبت للرحيل ـ حسنا لكن الأمر سيبدو سيئا ، هذا هو كل ما فى الأمر ، وستضطر هى الى القول بأنها اعتادت أن تتسلل الى خارج الدار لمقابلتى بعد أن ينام الجميع فى ليالى الخميس ، لكن هذا الأمر سيبدو مشينا فى كل مكان ، اذ ربما خطر لها ـ يوما أن من الأفضل أن تتزوج شخصا آخر غيرى ، فتكون قد ساءت سمعتها لتورطها فى علاقة معى ٠٠ وتسللها من البيت لمقابلتى بعد ميعاد النوم ٠

وناومى تعرف أننى لا أسرق حصانا ، وتعرف كيف حدث كل هذا ٠٠ وهو أننى أخطأت بسبب الظلام فركبت حصان لود موسلى « لايتفوت » وتركت باب المعلف غير مغلق جيدا فخرجت بيتسى وعادت من تلقاء نفسها ٠

لقد ظل لود موسلى يخبر الناس جميعا حول دار القضاء كيف أنه سيزج بى الى السجن عشرين عاما ، وبذلك يستطيع أن يزوج ناومى من ذلك الزارع الارمل الذى يستخدم عشرين محـــراثا ، ويبدو لى أن لود موسلى جد فخور بذلك ، لأنه استطاع فعلا أن يوقعنى فى الفخ ، وربما استطاع فعلا أن يعمل على ابعادى قبل أن تتاح لناومى الفرصـــة لتقول الحقيقة ٠

على أية حال أنا لا أعرف ما اذا كانت سوف تقول الحقيقة اذا سنحت لها الفرصة أم لا ٠٠ كل واحد يعرف أننى مجرد أجير لدى مستر جون تيرنر ، ولقد خطر لى أن ناومى بعد كل شىء ربما لا تتصرف كما ينبغى وتذكر ماتعرفه ٠

في مقدوري أن أتجه فورا الى المأمور وأوضح له كيف حــدث اللبس ، ولكنني أكره أن أزج باسم ناومي في هذه الورطة ، لو كانت ليلة الأحد بدلا من الليلة قبل الفائتة ـ ليلة الخميس ـ كنت أستطيع أن أفعل ٠٠ حسنا ، الأمر سيصير سيئا جدا ٠٠ هذا هو كل شيء ٠

لو أقبلت ناومي الى المدينة وذكرت ما تعرفه فلن أتفوه بشيء لايقافها لأن ذلك يعني أنها تميل حقا الى تبرئتي والزواج مني ٠

أما اذا ظلت قعيدة البيت وتركت لود موسلي وذلك الزارع يزجان بي الى السجن عشرين عاما ، فلن يسعني الا الانصياع لهما ٠٠ لا شيء غير هذا ٠

كثيرا ما قلت لناومي انني على استعداد لأن أفعل أي شيء في العالم من أجلها ، ، ويبدو أن الوقت حان لأثبت لها ما اذا كنت عند وعدي أم لا ؟!

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة



وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
١٩٦٧



الثمن ٢٣ قرشا

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة